

حين المناصرة

داريا

وبقايا من الهذيان



داريا
وبقايا من الهذيان

الكتاب الأول
بقايا من الهذيات
(قصص قصيرة)

الكتاب الثاني
الليلة الشاردة... الواردة...
(قصص قصيرة جدًا)

الكتاب الثالث
داريا
أو الحوت ينام في جوف الريموت
(رواية)

دارنا وبقايا من الهذيان / رواية وقصص قصيرة
حسين المناصرة / مؤلف من الأردن
الطبعة العربية الأولى ، ١٩٩٩
حقوق الطبع محفوظة



دار الفارس للنشر والتوزيع

عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفكس : ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo



التوزيع في العالم العربي والعالم :

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ،

ص.ب : ٥٤٦٠ - ١١ ، العنوان البرقي : موكيالي ،

هاتفكس : ٨٠٧٩٠٠ / ٨٠٧٩٠١

تصميم الغلاف والإشراف الفني

سليم®

لوحة الغلاف :

زهير ابو شايب

الصفّ الضوئي :

مطبعة الجامعة الأردنية ، عمّان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

حين المناصرة

داريا
وبقايا من المذيان



بقايا من الهذيات

قصص قصيرة

الإهداء

ما زلت أجهل قبرك !!
فأنا كما تعرف كنت صغيراً أتلهى بزجاجة عطر الموتى .
كيف أبحث عنك الآن ، ومع كل يوم يموت ، تتقارب المسافات ؟ !!
لا أملك غير قراءة الفاتحة على روحك الطاهرة في كل الفضاءات ..
إلى روح والدي الذي يرقد منذ ثلاثين عاماً في تراب فلسطين ..
وما زال قبره - رحمه الله - مجهولاً لديّ ..

مدخل:

« لم يكن للكواكب دور
سوى أنها
علمتني القراءة :
لي لغة في السماء
وعلى الأرض لي لغة . »
« محمود درويش : لماذا تركت الحصان وحيدا »

* * *

« عشقت الليل أعرفه ويعرفني وأعرف أنني
أرعى النجوم هنا
لأرقب نجمة الصبح
سأبحث عن أحبائي هنا في جوفه يمشون حولي
لا أرى منهم سوى جرحي »
« عز الدين المناصرة : الخروج من البحر الميت »

الصراخ المشروح

نظرباستغراب إلى عمود الزجاج المعلق على وجه مدخل البناية الجديدة، فكان مشروخاً وفيه وجه يصرخ بخوف؛ بل هو وجه مشروح ..
فرك عينيه عدة مرات ، فبدت الصورة واحدة ..
استعاذ من الشيطان الرجيم ، فجاءت الضحكة من ورائه مرعبة ..
تخيل الضحكة في البداية صدى لذلك الوجه المشروح ، ثم من غير توازن نظر خلفه فوجد امرأة تضحك بشراة ..
حاول ألا يعيرها انتباهاً مميّزاً ..

ربما حاول أن يعدل من وضعه الفوضوي المتضعع .. ومن غير أن يبخلق النظر في جسدها المتطاوول . حاول أن يخلع رجليه اللتين تسمرتا في الأرض . أن يهرب بعيداً . لكنها حاصرتة . ومن خلال ضحكها المتواصل ، تفوهت بأشمئزاز : « بكل تأكيد لم تتوقع أن تراني هنا بالذات » .
قال من غير أن ينظر إلى وجهها : « من حقل أن تكوني حيث شئت » .
قالت بسخرية متضاحكة :

«إنهم يحاصرونك من كل ناحية . عليك أن تأتي معي ،
من غير لف أو دوران ، إلى ذلك الحبل المعلق ؛ لتضع رأسك في
دائرته باستسلام تام .»

أجال بصره في الجهات كلها ، كمن يستطلع شيئاً مفقوداً على
عجل ، ثم نظرفي عينيها أو هكذا تخيل نفسه يفعل ، ليعرف بقايا
الأعماق ..

لكن الأمور أصبحت بالنسبة له مؤخراً غير معروفة إطلاقاً ..
أعاد نظراته المبعثرة إلى العمود الزجاجي ، فرأى الوجه المشروخ
يتحول بفعل التشطي إلى عدة وجوه صارخة ..
كأنه تمنى أن يرى جسده ممددا على فراش النوم ؛ يحلم بهذا الكابوس
ولا يراه!

كيف جاءت إلى هنا وفي مثل هذا الوقت المتأخر من العمر .. إنها
كما قيل له (...) لم يعد يعرف ما الذي يدور بداخله .. فكيف
والأمر أصبح الآن يتعلق بداخلها هي ..

إنها تأتيه بعد أن تجاوز الأربعين بعامين ..

كيف عرفت وجوده في هذا المكان المدحور؟! ..

عادت له بكل الماضي دفعة واحدة ، وأضحت الأيام التي مرَّ عليها
غبار عشرين عاماً تتراقص أمامه كأشباح فقدت عقولها .. كأن الأيام
الماضية «ابنة امبارح» ، كما كانت تقول جدته رحمها الله ..

قال في نفسه : يجب ألا يكون لي شأن الآن بما تبحث عنه .. كل
شيء مات . . . والشيء المهم الآن هو أن اعتبر نفسي ميتاً منذ عشرين
عاماً ، وأن هذا الجسد الموجود هو غير ذلك الجسد الذي مات ..

إنني بكل تأكيد لست ذلك الطالب المراهق .!! .

لكنه لا يستطيع .. ، فهو لا يبالي يتذكر جريمته الكبيرة التي
علقت بذهنه ، حتى تركت ضميره متيبساً من الرعب ...

« كانت فتاة جميلة ... وكان قد وعدّها بالزواج .. وفي لحظة من العيب المجنون هرب ، وتركها لمصيرها البائس ..
حكاية مألوفة شاهدها آلاف المرات في المسلسلات الرديئة ..
كما أن المسألة تحدث في أرقى المجتمعات ..
كان عليها أن تتصرف ، لا أن تبحث عني طيلة عشرين عاما من الضياع ..

وماذا تريد مني الآن ؟!! أن أصلح غلطتي .. كان من الممكن أن يحدث هذا قبل عشرين عاما في إحدى اللحظات الثائرة .. !! أما الآن ، فالأمر لم يعد بهذه البساطة ..
كان عليها أن تموت مثلي تماما ... أن تحرر ضميري من قيود العذاب .. أن تختار هي الهروب ، وأكون أنا الضحية ..
امرأة من مدينة بعيدة تحضر بعد عشرين عاما من مأساتها إلى قرية منزوية في قاع العالم من أجل أن تحاسب ميتا على ماضيه !! يا للكارثة !! كيف سيبرر موقفه أمام الآخرين بعد أن تنفجر في وجوههم معلنة أنه قبل أن يموت كان كذا وكذا . وأنه لم يكن أكثر من لص غبي سرق أثمن ما لديها ، وهرب تاركاً امرأة تتلاعب بها رياح الخوف والمرارة والبحث عن الأمان .. يا أيها الجدار الذي يحمل هذا العمود المشروخ بكل الوجوه الصارخة .. هيا اصرخ بالكذبة أمامي حتى يتحقق الوهم لا الحقيقة .. !!

أراد أن يتحسسها ؛ ليدرك مدى الحقيقة التي تقفز أمامه كقدر مخيف ، لكنها تتراجع قبل أن يحدث اللمس ، تاركة أموره تأخذ مجراها المتدهور كما النهر يشق طريقه !!
إن الصرخات المشروخة تهزه بعنف .. يتجمع حوله عدد كبير من الناس ، ويصرخون أيضا في وجهه ، حتى تحول الشارع إلى كوابيس من الأعمدة المليئة بالوجوه المشروخة والصراخ المشروخ .. ماذا يجب عليه أن

يفعل أمام هذه الحشود الهائلة من الصرخات !!؟

حاول أن يهدئ من روعها . أن يعيد عاطفته المقتولة ليؤثر عليها ، كما كان يفعل في الماضي . وأخيرا حاول أن يجثو على قدميها . إنه يجثو على الأرض يبحث ويبحث . يتمرغ في التراب والبقايا . لا يسمع إلا الصراخ ، ولا يتوقع أن يرى سوى الوجوه المشروخة تتراكم فوقه فتغرقه في الوحل . وكانوا كلهم يضحكون عليه!

توقف عن التمرغ في التراب . . حاول أن يعدل من انهياراته . إنه مشدود بأذرع عدة وجوه ، ومحاط بوجوه كثيرة . بحث عنها وسط الكم الهائل من الأيدي والوجوه البائسة المستغربة الضاحكة . نظر إلى العمود الزجاجي . . قال لهم : أين ذهبت !!؟ وأخيرا قرر أن يعترف . . !! .

هرب منهم ، وراح يجوب الحارات ، وهو يصرخ . . يعترف . . ويعترف . . يضرب رأسه في الجدران المتلاصقة . . إنه يتحول إلى حالة من الجنون . . هل أدرك موته النهائي ؟؟ هل شعر بمأساته عندما أصبح نزيل المصحة !!؟

بحث عنها فوجدها في كل المرايا المشروخة والزجاج المشروخ تمارس الصراخ المشروخ . وتدعوه إلى دائرة الحبل المغلقة التي ضاعت منه أخيرا . . ولم يعد يملك غير التمرغ في غبار عشرين عاما . .

حديث النافذة

إلى مدينة الكت كات... سدوم قبل الطوفان
من هنا تبدأ قصتي.. فأنا لا أعرف شيئا عنكم إلا من خلال
هذه النافذة الصغيرة؛ حيث انطلاقتني إلى فضاءات أحزانكم في
بدايات الخريف، ومع الصقيع، وعندما تعجزون عن دفع ثمن ليلة
أنيسة، وفي أيام جوعكم كنت دائما معكم وكنتم دائما معي..
في هذا اليوم كنت أراقب فضاءاتكم في هذه المدينة التي تغيب
عنها بقايا الفضيلة، ويحل عليها طبق من الخوف.. وماذا شاهدت؟
هل تصدقون بأنني لم أعد أعرف من أنا.. فأشلائي تناثرت فوق
حبال الغسيل مصلوبة تحت جسد من الهذيان.. وكانت بقايا شعري
تتطاير بين الحارات تدوسها الأحذية من غير اكتراث.. وآه على دماغي
الذي أضحى معروضا في سوق المواشي؛ حيث لا مزاد على هذا
الدماغ البليد.. وأما دماغ الخراف فهي تهدى في المواسم...، وأنا
قابع في صالة العرض أجتر تاريخي المهزوم... ودماغي التي جفت في

بقايا أكواب الشارين ..

إنني أعترف لكم بخوفي من نهاية جسدي؛ حيث النزيف
والسماسرة .. وكانت أثواب المدينة بالية ، تخربش وجه الحقيقة ، تبكي
مواجه الأطلال في حكايات : «كان يا مكان في قديم الزمان مدينة خضراء
موردة ، جاءتها ريح سموم ، أكلتها راقصة ، وتقيأتها راقصة ، وأباح
جسدها لكل العابرين الحاملين براميل الامتصاص وأبواق الخطر ..»!
وضاعت مدينتي الجميلة عندما تناحرت القبائل من غير سبب .. أو
ربما لأجل كرامة مدعوك في بقايا مياه أسنة .. لا فرق بين السبب
واللاسبب .. !! .

في يوم من الأيام كانت أوراقى على طرف نافذتي ، فجاءت من
غير أن أدري زوبعة ريح ، فأخذت كل الأوراق ، ونشرتها بين بقايا
البيوت ، فرأيتكم تقرؤن ، وتتضحكون ، وتتصارخون متفكهين : «إنه
لجنون .. !! كيف نسلخ من جلودنا ثوب الرخاء لنعود إلى زراعة الأرض ،
وحفر الآبار ، وتربية العجول ، وصناعة الفؤوس والسيوف .. وخبز الخبز
في التنور وإشعال حفلات السطوح .. وقت فتات العدس .. وتشبيد
الخيمة ، والمطاردة بالخيول .. ويريدنا أن نشرب قهوة الصباح مع قراءة
الكتب .. قاه آه آه آه آه ..» .

نافذتي نفسها حملت صراخكم يوم غزيتم ، ولم تجدوا أرغفة
الخبز ، فشربتم الماء عكرا .. ووقعتم بنود المحبة .. انتم تقدمون جسدكم
النازف ، وهم يأخذون الدم ليشر به خمرا ، وليقدموا لكم خبزا
ومذلة .. وتقولون : انتصرنا .. ماذا أفعل بهذه النافذة !!؟

كم تمنيت جسدي ، المتناثر فوق بقاياكم المهملة ، يتشكل في قربة
ماء ، يتولد منها عملاق ضخم ، يغزو الغزاة ، ويعيد عجن المدينة من غير
خوف ، فيصب فوقها رياح الخيول .. وغبارات الصحراء تقفز جسدا من
البلور هو سور للمدينة ، وشعلة في العقول ، وبدايات حسرة في نفوس كل

الغزاة، وكل الطامعين .

هذه نافذتي ، وهذه لغتي المصبوبة في قرية مازالت محاطة بكل القيود وعلامات الحذر... وماذا أفعل من أجلك يا مدينة الهباء وبقايا الفضيلة ؟ !!

كم تمنيت أن أكون «عوج بن عناق»... طولي ثمانمائة ذراع ، أحتجز السحاب فأسقيكم ، وأخرج الحوت من قرار البحر ، فأشويه بعين الشمس وأطعمكم ، وعندما يحل الطوفان أرفعكم قرب ديمة ؛ تنظرون إلى الغزاة الغارقين في دمائهم ، وأنتم تشربون من نبع السحاب .. فأكون جسركم الحي إلى حيث اشتعالات الفضاءات الجميلة .. إلى حيث المدينة تتراقص بثوبها الأبيض في ليلة عرسها بين خضرة وأرغفة خبز لذيدة ..

لكن ...

ها هي المدينة تصرخ موجوعة من وطء أقدامنا مع الغزاة ؛ حيث نشاركهم غزو ما نملك ، فرحين بانتصاراتنا على هزائمنا ... وقد دخلت ثيراننا جوف الحوت ، وهي تطبل لكل المارين بالرماح فوق أجسادها فتساقط من غير ثمن ...
لكنني .. ومن هذه النافذة ، أرى صمت الموت وأغني للولادة ..

البحار

القرار بيدك .. أنت الوحيد القادر على إزاحة هذا الكابوس عن صدرك وعن كواهل الآخرين . فكر في المسألة جيداً ، ولا تتسرع رجاء .. أنت لست وحدك ، إن الآخرين أهم منك .. ألم تقل هذا في مذكراتك التي لم تنجز بعد ؟!!

إذا أردت الأمور متوجهة نحو جهة أخرى ، فلا بأس ، هيا هيا أخرج أمتعتك ، وارحل ... لا نريدك هنا . نحن لا نقبل هذا الضياع اللانهائي . وإذا أردتها معك فخذها واهربا .. هم لا يريدونها ، وهي لا تريدهم ! .

أسندت الفتاة الجميلة ظهرها على الجدار .. نظرت في وجهه المأكول ، من غير أن تبتسم ، وسألت بعد أن بلعت ريقها ثلاث مرات : ماذا قررت ؟! لم يدرك أبعاد سؤالها .. هل هو فعلاً صاحب القرار ؟!! .. تعجب من ثقتها بقراراته .. ومنذ متى كان قادراً على اتخاذ القرار المناسب في

الوقت المناسب؟! .. إنها لم تدرك أبعاد المأساة ..
حاولت معه مرة أخرى ، وقالت بيأس شديد :لماذا تصمت؟! قل
شيئا .. أعرف أنني العبد الوحيد في حياتك
العبد الوحيد في حياتي!! لو كنت أنت العبد الوحيد لما أصبحت
في هذه الحالة .

حاول أن يسترجع دماغه الذي طار ،ولكنه كان أكثر من مأساة
مدعوكه ببياه أسنة في هذه المدينة التي استأثرت بترصده حيث
ذهب ... وحيث أخرسته إلى الأبد .. وهم لا يعرفون أنه أصبح
أخرس ... كانوا يعتقدون بأنه يمارس جنون الاحتجاج .. وهولم يكتب
لهم ؛ لأنه لا يريدهم أن يسخروا منه ،وينادونه بأفلاطون الأخرس هذه
المرة ..

كانت مأساته أنه كما يقولون :كان يحمل السلم بالعرض ...
يعترفون بكونه أفلاطون زمانه .. ولكن هذا الزمن يجبر أفلاطون على
أن يهرب منه لو ظهر فيه .. ولتخلى بكل تأكيد عن مدينته
الفاضلة .. !! .

قالت بملل وكأنها تحدث نفسها :لقد مللت من الانتظار ، في كل
ليلة نحضر إلى هنا ،تنظر في وجهي .. ماذا قررت ؟ لاشيء !! اللعنة
عليك وعلى هذه المدينة العاصية ، لماذا لا نهرب معا إلى إلى ..
إلى أي مكان تريده .. لقد مللت من صمتك .. !! .

هل أكتب لها مأساتي ؟ عندما أكون لوحدي أحاول أن أتحدث ،
فلا أسمع إلا أصوات أخرس ، وتريدني أن أرحل .. !! أن نهرب
معا .. !! أن نخرج من هذه المدينة التي أكلت لساني .. ماذا حدث
لي؟! .. إنني لم أعد أعرف شيئا

حملت نفسها عن الأرض ، وخرجت بعد أن هددته ،وهي في حالة
حزن عميق ،قائلة :

عندما تقرر الرحيل ،ستعرف أين ستجدني . لن أحضر إلى هنا مرة أخرى .لقد مللت .. ! يجب أن تقول شيئاً .. أن تفعل شيئاً ، وهذا هو الأهم !!

عفر وجهه بالتراب .. بكى لأول مرة بكاء مرأ ، فتهالك كومة يابسة ..

قام من قرب الجدار ،حاول أن يتذكر ما الذي حدث له ليلة أمس؟! كانت تجلس هنا .خرجت غاضبة .وأنا كنت أخرس .لقد تماديت في صمتي!! .

هل فعلا كنت لا أستطيع الكلام؟!جرب صوته في همهمات .. لم يقتنع بذلك .. نظر حوله في الجهات الأربع ، وصرخ بأعلى صوته : سأحارب كل الذين يحاربونني بلا سبب .. !! إنها لي .. !! هي تريد ذلك ! هيا اخرجوا إلى هذا الفيل .. ؛ إلى هذا الجدار الكبير .. خفض رأسه وهمهم : الحمد لله ، فأنا لست أخرس .. إنهم لم يسمعوني .. سأصبح فيلا!!

قرع باب الجدار الآخر ، تناولها من يدها ، وخرجوا إلى جدارهما ، من غير اكتراث بالآخرين الذين تمتد ألسنتهم كرياح الخريف .. !!

فيوم الظهر

أنا لا أعرف من أنا .. كل ما أعرفه هو أنني كنت أعمل في مؤسسة .. كانوا يقولون لي : أنت ..

أنا لا أتذكر كل الأشياء القديمة .. هناك أشياء غامضة أتذكرها :
عندما ذهبت في ذلك المساء إلى عملي ، وجدت مدخل العمل
ممتلئاً بالغرباء .. وكذلك ممتلئاً بوجوه المدينة .. بحثت عن مكان
لقدمي .. سرت مسافة طويلة على رجلي حتى وصلت إلى
المدخل .. تجاهلتهم .. ومشيت إلى عملي .. كانت الوجوه ، كما تهيأ
لي ، تنظر كلها إلي .. جاء صوت مخلوق ما تجاوزته عالياً :

- وقف .

- خير؟

- وين؟

- إلى عملي ..

- أين بطاقة الدعوة؟

- أنا أعمل هنا ..
- شوف الواقف هناك ..
- اعتذر الواقف هناك .. وادعى أن لا دخل له ..
- هل يريد أن يتخفى؟! .. الأمور تختلط علي .. !!
- لا فرق ... !!
- يا سيد ، أنا أعمل هنا .
- انتظر هناك ... حتى يأتي القائد .
- أنا مشغول ... لا وقت لدي حتى انتظر القائد «بتاعك» ...

لا أذكر ما حدث لي .. ربما سقطت على الأرض .. ربما ذهبت إلى العالم السفلي .. ربما حدث لي ما حدث دون أن أعرف كنه ما حدث ...

أتذكر جيدا أعقاب البنادق .. أتذكر جيدا ذلك الصوت الرحيم الذي قال : «يكفي هذا» ... لا أذكر كل الأشياء بدقة ..

كل ما أعرفه الآن هو أنني لم أعرف اسمي .. هل أنا أنا؟! أو أنا هو؟! .

لم أفقد ذاكرتي لأنني عرفت منزلي .. خرجت من المشفى معصوب الرأس .. يدي في عنقي .. وأنا أجلس على الكرسي الذي دفعه الممرض حتى اقتربت من وجه السيارة العامة .. وعدت إلى ...

لا أعرف إلى أين ...

أذكر أنني ركبت في طائرة ما في عز الظهر ، فطارت وطارت وطارت .. حتى رأيت نجوم الظهر .. أذكر أنني لم أعد أرى شيئا مما كنت أرى ..

تعجبت كثيرا عندما وجدت وجه أمي يبرق كنجمة باكية ...

هل كانت أمي تبكي؟! ..

ومتى جاءت إلى هنا؟! .. لم أكن أعرف أنني أنا من حمل إليها ..

كانت أمي أكثر من أرض بور عندما أراها حزينة .

أذكر الآن الأشياء بالتفصيل المل: إنهم لم يقدموا لي بطاقة دعوة كي أحضر الحفل .. كان العشاء هو المهم بالنسبة لي .. لم أتوقع حضور الخواجا الكبير .. لم أكن غازيا! كنت أعمل في المكان نفسه. لكنهم أبعدوني عن مجال الدعوة ...

حسنا قد أعود بعد ساعة .. ربما يغادر الخواجا قبل العشاء .. يجب أن أدخل ؛ فهذه المناسبة انتظرتها منذ أربعة شهور ..

أراهم كل يوم. يرتبون المكان بدقة أكثر مما يتصورها عاقل ، فقد تحولت الحديقة المتعفنة إلى أجمل حديقة في العالم ، وأصبح الأثاث في المركز كله من أعلى أنواع الأثاث ، وانتقلت الكتب المتخزنة من غرفة متعفنة إلى صالة كبيرة ضخمة مرصعة بكل غال وثمان ، حتى المكتب الذي كنت أجلس عليه ألقى في الزبالة وأحضر آخر لأجل الحفل ، وقالوا سنعيدده إلى مكانه .. هذا مؤقت ..

وتكونت - يا للعجب العجائب وغرابة الحكاية - صحيفة جديدة ، بدأت تحضر تاريخ المؤسسة الخدم من الخواجا وحياة الخواجا في خدمة الثقافة والفنون .. كل شيء يلمع ويبهج ..

نُصبت في الزاوية خيمة عربية كي يجلس فيها ، ويتناول طعامه حيث التراث والأصالة ونوافير الماء ، والأباريق المذهبة وأواني الكرسنال النظيفة .. كيف كان الأكل؟! .. هذا الشيء الوحيد الذي لم أره .. يمكن أن أتخيله .. يجلس على كل ماعون خروف كبير محمر .. تتناثر فاكهته وعصيرات وأواني الصين .. من سيأكل كل هذه الأشياء التي لا تنتهي؟! ..

يجب أن أدخل ، فأنا ترعرعت مع هذه المناسبة .. انتظرت بداية هذا العام بفارغ الصبر .. سأنتظر ساعة حتى تنتهي المقدمات .. ثم أدخل في وقت العشاء بعد أن يخرج الخواجا ، ويذهب الحشد معه ..

لم يعد القائد .. والمدخل مغلقة!!

- هل حضر القائد؟! .

- هناك .

- أنا أعمل هنا .

- أنت مجاز اليوم .

- يجب أن أدخل .

- ممنوع .

- دعني أتحدث مع سكرتير المؤسسة .

- ممنوع .

- يجب أن أدخل بأية طريقة .

- انتظر هناك حتى يخرج .

- أنا مش فاضي إلك ولا لل ..

لا أذكر كل الأشياء التي حدثت معي .. فأنا لم أعد أسيطر على عقلي .

سأحاول أن أذكر ما حدث لي ، عندما حاولت أن أعاند ذلك الضخم الجثة .

لم أكن أتقصد إزعاجهم .. كان لدي طموح وحاولت أن أحققه .. كنت أريد أن أحتفل معهم بمناسبة بداية هذا العام ..

سأذكر كل ما حدث معي وسأخبركم به .. كل ما أذكره الآن هو أنني لم أحتفل في ذلك المساء .. لقد رأيت نجوم الظهر ...

ربما عدت إلى بيتي وشربت القهوة المرة .. وربما حاولت للمرة الثالثة والرابعة والخامسة .. وربما هي المرة الوحيدة .. سأذكر لكم شيئاً مهماً :
عندما عدت إلى البيت قُرع الجرس بعيد دخولي .. ففتحت ..

فوجدت عشرة أشخاص يقفون في الساحة ينظرون إليّ .. فتحولت
إلى صنم من الإعياء والمفاجأة .. ربما تفوهت بشيء ما ..
غاص أحدهم إلى قدمي اليسرى ورفعها .. كان جثة .. فأصبح
رأسي على الأرض ..

وماذا حدث بعد ذلك .. !!؟

لا أعرف شيئاً!!!

كيف أصبحت الآن عند أمي!!؟

لا أذكر الأشياء بدقة ..

عندما أذكر التفاصيل المملة سأكتبها لكم ..

أذكر أنني كنت أعمل في المؤسسة ..

هل كنت شاعراً من غير ديوان؟! .. قد أذكر فيما بعد .. ربما كان
كل ما حدث لي هو أن بيتي سُرق .. وأن ما حدث لرأسي لا علاقة له
بعملي ..

أنا أتخيل الجمع والحفل والخواجا لأن السرقة حدثت قبل يوم
من الموعد؛ أي في اليوم الأخير من العام المنصرم ..
أذكر الآن القصة بالتفصيل :

عندما كنت نائماً مطمئناً في أمن وسلام دخل لص من حارة
أخرى إلى بيتي .. بل هم ثلاثة لصوص .. ضربوا رأسي بالمقعد
الخشبي .. وسرقوا كل ما أملك .. صحت من الحلم ، فتفقدت
أشياءتي ، فوجدتها مكانها ... ما حدث لي كان مع ...
يجب علي أن أترى قبل أن أتهم الناس المحترمين!
ما حدث هو غير ما أقول .. قد لا تصدقونني ، وهذا من حقكم ..
أنا سأقول ما حصل وأنتم عليكم أن تختاروا ما تريدون ...

ما أذكره جيدا هو أنني صرخت في وجه صاحب الهاتف العمومي .. كنت قد أجريت قبل يومين مكالمة مع أمي .. فدفعت أجرتها له .. لكنه مصر على أنني لم أدفع .. صرخت في وجهه ، لعنته .. قلت له : «أنا موظف كبير يا حمار ، وليس من المعقول ألا أدفع لك فلوسك التافهة» .. لقد مللت من ملاحقته لي . وأنا لم يعد لدي الأعصاب الطبيعية .. كان خلافي معه قبل الحفل بيومين .. كنت غاضبا منه حتى الثمالة .. صدقوني لقد دفعت له .. وهو يقر ذلك ؛ لكنه يدعي بأن المكالمة التي يطلب بها هي غير المكالمة التي دفعتها .. وأنا لم أتحدث من عنده إلا مكالمة واحدة في هذا العام ... في الليل جاءني أربعة أشخاص فأوسعوني ضربا . وكانوا يرددون : «لا تتعلم التناول على أسيادك» ... لا أذكر الأشياء بالتفصيل ...

كيف خرجت من تلك المدينة لأعود إلى القرية التي فيها أمي .. إذ ليس من المعقول أن يكون صاحب الهاتف ، هو الخوفا الذي كان يفتتح حفل بداية العام في المؤسسة .. !! .

أرى وجه أمي كبريق الشمس في الشتاء الحزين .. إنها تغلي «البابونج» وتقدمه لي ساخنا فأشرب .. إنها تدعو لي بالشفاء .. وكانت تدعو في الماضي أن يكون رفيقي الأخضر الأخضر ... هل أنا مريض ؟! .. هل ذاكرتي مقلوبة ؟! هي الحمى .. !! أنا لم أكن في دولة أخرى ، ولم أتعارك مع سلطة فيها ، ولم أتعارك مع عامل الهاتف ، أنا تعاركت مع نفسي ... كيف حدث هذا ؟!

قبل ثلاثة أيام من الافتتاح العام للحفل ، كان موعدي مع الطبيب

الذي أكد لي أنني مصاب بأمراض الشيخوخة ... قال لي : «لديك اكتئاب مزمن» .

قلت : «كل الناس لديها اكتئاب» .

- اكتئابك يجعلك عاجزا كرجل .

لقد أصبح وجهي ، كما قال الطبيب ، كوجه عصفور ممعوط ...
بعد أن أهلكه الطفل من اللعب معه . لكن المرأة التي لدي كبيرة في السن ، ولم تعد بحاجة إلى رجولتي ...
هل حاولت أن أنتحري؟! .

أنا متأكد من أنني تعاركت معهم .. كنت أرغب في الاحتفال معهم ببداية العام . إنهم كسروني عندما طلبوا بطاقة الدخول ..
لا أذكر ماذا حدث معي بالتفصيل .. سأحاول التذكر وعندما أذكر الأشياء المهمة ، سأكتبها لكم بالتفصيل الممل .. وسأشرح لكم الأسباب التي منعتني من استعادة ذاكرتي المنظمة ..

قال الطبيب لأمي اسقيه البابونج لمدة أسبوعين ، وستتحسن حالته ...

لم يقل الطبيب ذلك ..

قالت ذلك جارتنا .. أعني جارة أمي ...

المسألة ليست أمي فقط .. وأيضاً جارتها ..

كيف عدت إلى القرية والحفل في المدينة؟! ..

إنني لا أذكر الأشياء بالتفصيل .. يبدو أن ما حدث لي من أسوأ ما حدث ..!

أعدكم بأنني عندما أذكر الأشياء بالتفصيل ، سأكتبها بالتفصيل .. وسأقولها ألف مرة ومرة حتى لا أنساها ...

هل ما حدث لي حدث لكم؟! .. هل حاولتم أن تحتفلوا على

طريقتكم الخاصة ..؟؟ ربما!! هناك أشياء أكبر مما نتصورها ...

رن جرس الهاتف قبل أربعة أيام من الحفل ؛ في الثالثة بعد منتصف الليل تقريبا ، رفعت السماعه فجاءني صوت الآخر سريعا : بط بط أغلق السماعه ، فأغلقتها .. انتظرته أن يعيد الاتصال لأسبقه وأقول : بط بط .. لكنه لم يتصل .. أنا لم أعد أذكر الأشياء بالتفصيل ... لا أعرف ماذا حدث معي بالضبط ..

بدأت أتذكر .. القصة وما فيها أنني دخلت إلى قاعة الاحتفال بدون بطاقة ، وعندما واجهته طلبت منه أن يطلب منهم أن يسمحوا لي بالدخول إلى قاعة الاحتفال .. أمرهم أن يدخلوني .. فأبدوا له الطاعة ، وابتسموا في وجهي ، وقالوا تفضل حتى نتم بقية الإجراءات .. وعندما أخذوني إلى غرفة داخلية انخلع قلبي رعبا ، ولم أعد أعرف ما حولي .. فقط هناك من حاول أن يوقفهم عند حد معين ... أعدكم بأنني عندما أتوصل إلى تنظيم ذاكرتي أن أقص عليكم الحكاية «من كان يا ما كان إلى طير طير الله يمسككم بالخير» .. وربما استمع إليكم وأنتم تقصونها علي .. هل حاولتم أن تدخلوا مثلي إلى الاحتفال العام؟؟ .. سأحاول تنظيم ذاكرتي ...

لن أقص عليكم الحكاية .. لأنني لا أريدكم أن تشفقوا علي .. أو أن تأكلوا لحمي ... سأخبركم بقصتي مع (...) ربما بدأت أتذكر الحكاية .. إنها حكاية نجوم الظهر ، عندما تأكل صفة حارة على وجهك ،

فتأتيك النجوم الذهبية تتراقص .. لم تعد ترى غيرها ..
من أين أتتني تلك الصفعة ؟!! ..
عندما أتذكر الحكاية سأقولها من البداية!!!

العبور من بين جحافل النيران

قالت جدتي ، رحمها الله ، ووسع لها في الدار الآخرة : كان يا ما كان في سالف العصر والأوان بائع جوال . تناول البائع الجوال الشاحب الوجه كيسه المشبع بهمومه المشتراة من أحزان الآخرين ومخاوفهم ، وراح يجوب فضاءات المدينة وحاراتها المليئة بأصوات وجوه معجونة من الفراغ والسكينة وبقايا غبار في قدر كبير : «خذهما أثقل من همك ، تزح الغم عن قلبك ، وتر في هذه الدنيا العجب العجيب !!» .

اعتذرت المرأة التي قابلته في الشارع صدفة عن الشراء وقالت له : «ما عندي من هموم أثقل مما عندك !!» .

تركها يابسة مبحوحة الصوت مكسورة النظرة ..

صوّت : «خفف همك بهم أثقل منه ، تغلب غمك ، وتعيش يومك ...» .

طلب منه الشاب الذي خرج من قبو المدينة لتوه أن يعطيه هما أثقل من هم ضياع الوطن ..

فتش بين الهموم ، لم يجد شيئا . أخرج لوحة التعليمات ، قلب أوراقها ، قال له : « حتى تختبر صبرك على همك ، عليك أن تذهب إلى وادي الشيطان ، وتعبّر من بين جداول النيران ، فإن خرجت منها سالما ، فأنت بإذن الله تعالى قادر على الصبر والنسيان » .

استغرق منه العبور مائة عام .. تجاوز جداول النيران دون أن يزوده شيخه الذي باعه الحكمة حصانا يطير في السماء أو سيفا يحرق العصاة ..

بعد أن نجح في الاختبار وتجاوز جدران جداول النيران في وادي الشيطان ، جاءه الغراب فنقر عينيه ، وأكلت منه البوم لسانه ، ومزق العنكبوت شعره ، ليبني له بيتا في أذنيه ، ثم اتخذ النمل الأبيض من أنفه ممرا إلى دهاeliz النهاية .. وهكذا لم يعد ، بعد العبور الكبير ، يرى أو يسمع أو يفكر أو يتكلم ...

إنه ما زال يحس بالأشياء التي تحاصره ، باحثة عن اغتياله .. يتصور حاله وقد تحولت إلى حبة قمح ، تمارس الهروب الكبير خوفا من منقار دجاجة ، تلتهمه من غير حاجة إلى الماء ..

« حسنا حسنا » .. هذا ما رددته البائع الأشعث عندما وقف على رأسه ، وأضاف قائلا : « المهم أنك تجاوزت الاختبار » ، ثم كتب على بقايا جسده : « عليك أيها المتناهي في التلاشي أن تقتنع - بعد أن نجحت في العبور الكبير - بأنك إنسان لا حبة قمح » .

فجأة تخطى الشيخ المتعثر بالأرض ، وقال بصوت الخارجين من القبور : « إذا أنا اقتنعت بأنني إنسان فمن يقنع الدجاجة بأنني لست حبة القمح .. » !!!

صوّت بياح الهموم : « يا أهل مدينة الغياب ، من عنده هم أكبر من هم عابر جدران النيران .. أخوكم صبر وما انتصر !! »

قرر بياح الهموم أن يعبر الوادي المذكور ليشتري أغرب ما في الكون

من الهموم . . وبعد التجوال والتجوال . . عاد . . فارتمى قربه يعاني بما
يعاني . .

جسدان لا يمتلكان غير بقايا مهترئة من الأحاسيس الفطرية . أصبحا
صنمين يردد قربهما المارون حكمة البداية : «من شاف مصيبة غيره هانت
عليه مصيبته . .»

مر من قرب الجسدين طفل ملّ من لعب الكرة مع الآخرين ،
فأمسك النملة التي جفت عروقها من الخوف ، وقالت له : «إن تركتني
سالمة أتحوّل إلى حبة قمح . .» .

ترفق بها ، وقال بعفوية حكيمة مداعبا : «لا هم أكبر من موت
الحواس . .» .

توقفت الجثتان فجأة وقالتا معا : لا هم أكبر من موت الحواس . . إنه
ضياح الوطن وفشل العبور . فكيف تكون العودة إلى طقس البداية ؟!! . .

الطاووس

أوامليونير المنفري

أنا مليونير حقيقي ..
يتوجب عليّ ألا أظهر بين الناس بهذه الصفة ؛ لأنني سأخسر كثيرا ..
لقد جن قريبي الذي وجدت وإياه المليون أو أكثر .. وجدناها في
حقيبة بالية ملقاة على قارعة الطريق العام الممتد بين المدينتين .
ظهرت عليه علامات الجنون منذ أن رآها كثيرة .. ربما بدأت
المشاريع تتلاعب في مخيلته .. هو مليونير كبير ، يتبخر ، يبيع ،
يشترى ، يقبلن عليه كالذر .. إنه الزير !!
لم تكن عقلية قريبي مثل عقلية خزنة كنوز سليمان . لقد قطعت
المفاجأة واحداً من خيوط ذاكرته ، فاعتقدت أن جنونه مؤكد لا محالة ،
وأنتي أنا سيد الموقف .. من المفروض أن أحتفظ بالمبلغ كله ؛ ليصبح
لي وحدي .. أخفيه .. أبدع في طريقة التمويه ، فأثبت جنونه! ...

قلت له : لك ثلثا المبلغ ؛ لأنك سائق السيارة ... احترس
احترس .. أتريد أن تعمل حادثا فنصبح مثل فاقد خفيه .. قد
نموت ، ويقال عنها مسروقة .. نفقد الفلل ، والزوجات الجميلات ، والحياة
الراقية ، والبورصة ، وكل شيء لم تره في حياتك ...
الغريب في أمره أنه صامت .. اعتقدت أن المفاجأة جعلته
أخرس .. هذا أفضل من الجنون .. إنه في صالحنا معا ..
لكن صمته لم يمنعه من أن ينظر بين الفينة والأخرى إلى
النقود الموضوعة في الحقيبة ، ترقد على الكرسي بيني وبينه .. كان
ينظر كعاشق خجل إلى معشوقة كضوء الصباح ...
قلت له : سأخفي النقود عندي ، لأنني أسكن في البيت
وحيدي كما تعرف ، أما أنت فعندك زوجتك ، وتسكنون في بيت
أهلها ، ولا نريد لأمرنا الفضيحة .
لم يجب .. هز رأسه هزة غير معروفة ...

وصلنا إلى حيث أقيم . أخفيتهما في الغرفة الداخلية . جلسنا
صامتين نشرب « البيبسي » الرديئة .. دخنا .. خرجنا متوجهين إلى
زوجته وأطفاله ..
قلت له في الطريق : هل تصدق أننا وجدنا المليون؟؟ .
ولأول مرة يخرج عن صمته ، ويقول : أخفيناها عندك .
- من حقنا أن نحلم !!
- لا نحلم ! .
- يظهر أنك تتخدع بأحلامك .. أنا انخدعت مثلك .. تخيلنا
ما فيه الكفاية .. آه على مليون . !!

كاد أن يودي بحياتينا فنجونا وتدمرت السيارة .

لو أعطيته نصفها فإن أمرنا سيفتضح . يجب أن أحرمه من حصته .. الضمير .. !!!

قبل يومين انتهيت من قراءة «هكذا تكلم زرادشت ... إنه نيتشه !! إلى الجحيم أيها الضمير ... لا للعواطف لا للضعف .. القوة القوة القوة يا سورمان !!!

ثبت بالدليل القاطع أن قريبي مجنون .. جن !! سمعته يحدث زوجته بصوت منخفض ، والناس جالسون : «لقد وجدنا المليون .. أخفيناه عنده ، عند سعد !! آه لقد سرقه ! أقسم أنه سرقة ه ...» .

الله يكون في عونته .. كان الحادث مريرا .. كنا قبله نحلم .. وأنتم ترون حاله .. صدمة عصبية حادة .. يظن أننا وجدنا المليون .. يجب أن يعرض على طبيب نفسي ...

كان كلامي مقنعا فصدقني الجميع ... !!
انسحبت من بينهم وأنا أختلس نظرة إليه .. كان شارد الذهن كأنه ملاك لم يسبق له أن تحدث بلغة ما .

قررت أن أنسى المليون لفترة قصيرة حفاظا على نفسي من الجنون ..

كيف أنسى؟؟ أنا لست أرسطو .. ولا تاجر البندقية .. ماذا أفعل؟؟ ..

أصبح قريبي أحد أعضاء القسم الهادئ في المصححة .. هل الحقه؟؟ .. اللعنة على الفلوس !!

واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة .. ممتاز ما شاء الله .. !!

كيف أتفاعل مع حياتي الجديدة ؟؟ !!
وزعتها على كل البنوك ..
مكثت على حالي الكادح المعدم العاطل عن العمل . لا أريد أن
يعرف أقباري .. إن عرفوا مصيبة .. من أين لك هذا ؟! .. صدق
«نجيب» وكذبت أنا !!
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
سجلت للدكتوراه في جامعة أكسفورد ... ادعيت أمام الناس أن
المصاريف على حساب معهد جوته ..
تزوجت من خطيبتي التي رافقتني طيلة مكوثي في الغرب ...
أصبحت مدرسا في الجامعة براتب لا يغطي مصاريفي !! ..
كنت أدعي المكافآت والمحاضرات الإضافية فأصرف ... لن ينتهي
المليون بسهولة .. لأتركه على مهله ، بل على أقل من مهله ..
إنني أملك قصرا جميلا ، وسيارة فارهة .
أعيش مع زوجتي في منتهى السعادة ، نخلف بنين وبنات ...
أطلب منهم أو منهن أن يحضروا أو يحضرن علبة السجائر ، فيتسابقون
أو يتسابقن عليها كالقرد أو كالقردات .. ولكنها قريبة .. سأتناولها
أنا .. إنها سيجارة واحدة .. نفضت رأسي .. أشعلتها ..
بدأت أفكر في شخص ما ، من الممكن أن يقرضني عشرة
دنانير ، أنفقها في الأيام العشرة الباقية من هذا الشهر ...

نافذة إلى فاطمة

إلى إباهيه كما وعده...

كان يحمل خفة دم العالم في عقل طفولي بريء... أما القوة الجسدية فلا تسأل، فهي تعادل قوة حصان من الخيول التي طاردت ذلك الهندي الأحمر، حتى فصلت رأسه اليانع عن الجسد الحديدي الممتلئ. فثارت الأنهار حمراء؛ ليشرب منها البيض والتعساء...

قال: أنا لا أفهم ما تقولون... لم أتدرب على أي سلاح... أنا ولدت وفي يدي قطعة لحم، ربما سرقتها من جوف أمي... أنا صعلوك... سبхан مغير الأحوال!! في زمنكم المسروق هذا صرت أنا الصعلوك... وأنتم الغزاة الأغنياء... آخر زمن...!!

- أنت سياسي عسكري!! أنت خطير!!

- ألاني أسرق منكم؟! لقد سرقتم كل شيء «الجمل وما حمل» وأنا آخذ بعض حقي!!

- ولماذا لا تسرق من العرب؟! هاهاه . . اقل . . أصبح موقفك حرجا! .
- مزاج!! حالة طبيعية!! ماذا تركتم للعرب؟! بعض
الفتات؟! اعجاب!! .

- التخصّص في سرقة اليهود من دون العرب معناه أنك منظم . أنت
واحد «مبذير»!!

- أنا مثل أجدادي الصعاليك ؛ أسرق من الأغنياء ، وأوزع
المسروقات على الفقراء . قاعدة أخلاقية عادلة!! بكل تأكيد لم تقرأوا
التاريخ الشريف!! .

- تسرق أغنام «شارون»؟!!

- هذا عز الطلب!! صاحبكم سرق أرواحنا . . أتستخسرون أن أسرق
أرواح أغنامه إلى يوم ما . . !!
- وأغنياء العرب؟!!

- عندما كنت صغيرا ، سرت بيض الدجاج ، وكان صاحب
البقالة يعطيني مقابل البيضة «تعريفة» . . لأنه كان يعرف أنها
مسروقة!! اسرقة سخيفة!!

- أنت سياسي ، وعسكري كمان! أنت واحد منظم . . يله احك قصة
تنظيمك!!

- من حقكم أن تقولوا ما تريدون . . ومن حقي أن أقول ما
أريد . .! ومن حق الأرض أن تدافع عني . . فأنا سيدها الوحيد!! .

بعد أن مر عليه شهر واحد في السجن بين السياسيين ، استطاع أن
يشكل نظرية اقتصادية ، يدافع من خلالها عن أهمية سرقة العدو :
«سرقة كيّان العدو تساعد على تقويض اقتصاده من الداخل . . وتفقد
أساسيات أمنه . . لا بد من المحافظة على استمرارية هذه
المقاومة . . السرقة من اللصوص واجبة . . اللص لا يداويه إلا

اللص ..مهادنة الاحتلال جريمة كبرى !! .
هكذا فعل علي بابا مع «الأربعين حرامي» ..!!
تحدث عن اقتصادهم الطفيلي ... عن الاقتصاد المغتصب ... عن
فلسفة الشطارة الجديدة ..

أُعلن في الممرات عن «كبسة» التفتيش ،فتناثرت الأصوات :
غيمت ... غيمت .. غيمت ..

قُبعت الأوراق المهمة في أماكنها السرية .. أخرجونا إلى الساحة
العامة ،وبقي الصعلوك إبراهيم في الغرفة لأنه «شاويشها» . حيث عين
في هذا المنصب بعد أن أبدى كفاءة عالية في التحقيق العضلي مع
أحد العملاء ، فاخترته الزنزانة مسؤولاً ...
ألقوا القبض على ديوان الشاعر المسجون :

- ما هذا ؟!

- شعر !!

- سياسي؟

- غزل !!

- اقرأ هذه الصفحة !

- ماذا أقول وعشقي في ثناياك وردة ؟!

- أنت حزني وسجني .. !!

- أنت .. أنت .. يا فاطمة نور قلبي !!

- أنت نافذتي ..

- عشقي الذي يشكل في شعرك خصلة

- فاطمة .. فاطمة .. فاطمة ..

- مين فاطمة ؟!

- حبيبته !!

- هذا مسكين .. كان مفروض يترك السياسة .. الآن فاطمة راحت لواحد ثاني !! .

- الله يكون في عونہ ! سنخفاء!! .

لم يصادروا الديوان ، لأنه غزل .. وهم يشجعون الغزل!!
ضحكنا كثيرا .. لأنه استطاع أن يضع فاطمة مكان فلسطين بيسر شديد .. هذا ما فعله سيد الصعاليك بتلقائية ..

رحل إبراهيم إلى سجن آخر ، فعينا مكانه المدرس الذي يفضل
المسألة في كل شيء .. حتى في قراءة الحقيقة .. ولا مجال للمراوغة .. !!
عندما طلب منه الجنود أن يقرأ لهم صفحة من الديوان المقبوض
عليه للمرة الثانية ، قرأ :

هي الثورة في الجذور

وفي السجون

نبنينا وطننا

ندفن جماجم قذرة

وأنتم أيها الجنود ، عودوا إلى دياركم القديمة

إلى ...

صرخ في وجهه : بس بس .. اخرس يا حمار ..

اختفى الديوان إلى الأبد .. كانت الخسائر هذه المرة كثيرة ..

حزناً .. ثم بدأنا نغني :

غرد يا زمن الثورة

وابسط جناحيك في السجن

في الكهف

في عنق الزجاجة ..

أَمْسِي

حاور اللاعب المتميز بفريق «الريح» الكرة الجلدية بطريقة غريبة جعلت المعلق الرياضى يتصارخ كعادته :

يا«سلا لا لا لا لا لام» محاورة «رااااااا» من لاعب الريح ؛ حالة
من الحب والولهان بين كابتن فريق الريح وبين الكرة عروس الملعب . ياسلا
لا لا لا لام عليك يا كابتن . أمر غريب عجيب يا إخوان . !

تصارخت الجماهير الرهيبة المترامية كعنفود الغب الأسود على مدرجات الملعب الذي يتسع لمائة وخمسين ألف متفرج :

فيها قول .. فيها قول .. فيها قول ...

فيها ردة عن القول .. فيها ردة عن القول ...

فيها قول .. فيها ردة عن القول .. فيها قول .. فيها ردة عن القول ..

لا يزيد عدد الحضور في قاعة المنتدى الثقافي العامة على عشرة أشخاص، تملأوا كثيرا بسبب تأخر الشاعر «الثقيل الظل» المنتظر منذ أكثر

من نصف ساعة ، وبين الفينة والأخرى كان رئيس المنتدى يهدئ من روعهم ، ويطلب منهم راجيا أن يعذروا الشاعر ؛ لأنه ربما تأخر بسبب أزمة المواصلات التي حدثت في المدينة إثر المباراة النهائية بين فريقين من الدرجة الثانية .. ومؤخرا ألقى رئيس المنتدى الناقد المتقاعد اللوم على نفسه ، إذ كان من المفروض أن يتنبه إلى أمر أهمية إلغاء الأمسية من البداية حتى لا يحدث مثل ما حدث اليوم !!

طلب القاص العجوز ساخرا من السكرتير أن يفتح التلفاز على المباراة ، لعلهم يجدون الشاعر بين المشاهدين حاملا علم أحد الفريقين! .. ضحك الناقد «الأحول منذ صباه» لتلك المطالبة الساخرة وعلق بصوت خشن : كان من المفروض أن نكون هناك لنستمع على الأقل بإيقاعات أصوات الجماهير وهي تصفق لحركية الكرة ، بدل أن نضيع الوقت في انتظار سماع قصيدة نشرت في جريدة «الظهير» قبل خمسة أيام ..

أحضر سكرتير المنتدى الثقافي التلفاز غير الملون من غرفة رئيس المنتدى ، ووضعوه على طاولة الأمسية ، وبدأوا يشاهدون المباراة الصاخبة ، وهم يعلقون على أليات اللعبة بانسراح عجيب ... علق الشاعر البوهيمي منتشياً : «بلا شعر وكلام فاضي» . همهم المتفرجون المثقفون وهم يتابعون التلفاز ...

الكرة تتحول إلى كيان بشري مسكين ، الكيان الغريب . لا يراه غير اللاعب المتميز الذي يحتفظ بالكرة متوجها بها نحو مرمى الآخر ... يصرخ الكيان البشري المتدحرج على الأرض ببراءة : أنا صديقك الشاعر المجروح الفؤاد من أقدامك الصخرية ، حاذر أن تصدمني بالعارضة ، أو بلوحة إعلانية ما ، سأتمزق حينها شرمزق .. يجب عليك أن تصفعني بشباك المرمى المنسوج من الحرير والقطن ، أو

علق أحد الجالسين في المنتدى ، حيث بقي من الحضور خمسة أشخاص :

ما الجديد الذي يمكن أن يقوله عارف ، قصيدته الأخيرة قرأتها قبل يومين في الجريدة ، صدقوني إنها أسوأ من قصائده الأولى !!
رد عليه من هو «شلتة» :

صدقني أن المباراة أمتع من الشعر كله !!

قال المذيع : مازالت الكرة بين قدمي سلوم السلوم ، إنها تتحول إلى عاشقة لا تفارقه ، وسلوم يكاد يقبلها أو يحتضنها .. إنه يقترب من الهدف .. إنه يحدد زاوية الانطلاق .. الجمهور يترقب الهدف على أحر من الجمر ..

ردد عارف العارف في نفسه : كيف تحولت إلى كرة .. إنها أحلام يقظة .. منذ طفولتي وأنا فاشل في ممارسة الرياضة .. لم أستطع أن أتحوّل إلى سلوم السلوم !! فتحوّلت إلى الكرة .. إنها «المسخرة» بعينها .. كان عليّ أن أَرْضَى بمصيري المهزوز في تلك الأمسية المجانية وبلا جماهير .. إنهم يحضرون ليتفلسفوا .. لم تأت بجديد ، في هذه تأثرت بكذا ، وفي تلك تأثرت بذلك .. إنك بحاجة إلى أن تطور أدواتك .. عليك أن تتمتع بروح رياضية وأنت تتلقى الضربات النقدية .. الإبداع هو حالة تواصل مع الآخر بأسلوب خاص .. منذ أن بدأت قبل ثلاثين عاما وهم يرددون الكلام نفسه .. إنك بحاجة إلى أن تطور أدواتك الفنية .. وعليك أن تكون رياضياً في تلقي ضربات الآراء النقدية يا محترم ... يا «للمسخرة» !!

الورقة البيضاء

قال الشيخ المسن الذي توفي قبل يومين في وصيته الأخيرة :
صدقوني لا أعرف ما الذي أنوي أن أقصه عليكم ..
حالة من الغثيان تسيطر عليّ ، تدعكني وتركني ممتلئاً برغوة الانزياح
نحو نهايات الخليفة ، ويبدو أنني لم أعد أعرف من أنا ..
لا شك أنني قادر على تحديد بعض جزئياتي المتناهية في
التلاشي :ها أنا أجلس على كرسي بني بلاستيكي ، وأمامي ما شاء الله
«الكمبيوتر» حيث أصف هذه الوصية ، وإلى الجهة اليمنى الهاتف ، وعلى
يمينى الفاكس ورفوف مكتبتي الغنية بعرق جبيني ...
من يراني على هذه الشاكلة يقول : هذا أسعد خلق الله ..
وإذا كان ممن يعرف شيئاً من تاريخي الظاهر سيحسدني على
النعمة ، ويقول : «لا هم دنيا ولا عذاب آخرة .. الأخ الفاضل أستاذ في
الجامعة ، ومحرر لغوي صحفي ، وكاتب في كل المجالات : القصة
القصيرة ، والنقد ، والمسرحية ، والرواية ، والثقافة ... وفي الماضي كان

فنانا تشكيليًا ، وأيضًا شاعرا . . . » .

ولا مانع من أن يردف : «ثور في برسيمه . . . » .

الناس لا يدركون سوى الظاهر ، فهم لا يرون غير البيت الواسع ، والوجوه المنيرة ، وربطة العنق ، والحذاء الملمع ، والصورة الواضحة في الجريدة ، وضحكات الأطفال ، والدش الفضائي . . وحتى سيارتي الرديئة قالوا عنها : متمسك بها حتى يبعد عنه العين . . . وما أن يروك في العيد لا بساً الحديد حتى يقولوا بعد أن تخرج : «معلوم يا عمي ، لاهم دنيا ولا عذاب آخرة . . وأنت الصادق : ثور في برسيمه . . » .

قبل يومين حدث لي حادث وتوفيت إثره ، ودفنوني ، ولم يصبح لهم حديث بعد موتي سوى الشقة المتواضعة التي اشتريتها في الحي الريفي . . صحيح أنهم يقولون : «رحمه الله ، الذي خلف ما مات » . لكنني مت ، وقد أفنيت معظم عمري وأنا أعمل ليل نهار حتى تركت ما تركت . . صدقوني أن الناس يحسدون بعضهم بعضاً على البسمة . . وما أن يموت الإنسان منا حتى يحسدوه على موته : «حدث معه الحادث قبل الحج بثلاثة أيام . . كان في طريقه إلى الحج . . نياله مات شهيداً . . . » . لاحظوا معي أنهم قالوا : «نياله» ولم يقولوا حتى على موتي «تبارك الله أو ما شاء الله» . . ولولا الخجل لقالوا بعد موتي «ثور الله في برسيمه» . . حتى القبر فيه حسد . . !! عجب أمر الناس في آخر الزمان . . !! .

في ذلك اليوم الذي حسدت فيه خنقت امرأتي حتى الموت ؛ لأنها شتمتني ودعت عليّ . وألقيت الحذاء في وجه أكبر أولادي فانشطر وجهه إلى شطرين . . ، وسالت الدماء من قفا ابني الصغير ؛ لأن «الككة» أكلت قفاه . . وسقط أحد أولادي عن «السيكل» فكُسرت سنه وتجرح وجهه . . واتصل بي صاحب الشقة التي أسكنها يطالبني بزيادة كبيرة في إيجار العام القادم ، فقلت له سأرحل إلى شقة أخرى . . وبعد المكالمة معه

تعطل الهاتف لمدة شهرين .. !!

هناك أشياء كثيرة حدثت معي ، لعل أبرزها ما قاله لي الرجل الذي زارنا فجأة ، حيث قال من غير تبارك الله : «صايرلك لحية فوق اللحية . . » وربما قال «رقبة فوق الرقبة» . . تورمت رقبتني ، غسلوني بالأشعة والتحاليل ، وتصارخوا في وجهي الأورام خبيثة ، فعملوا العملية الأولى ، وقرروا الثانية ، وتهامسوا : «دبر حالك بواسطة» في المستشفى الكبير . وما زالوا يفصلون ويغسلون . . وأنا والحمد لله عرفت الدواء : الرقية من الحسد ، والحبة السوداء مع العسل ، وشراب «الطرخشيون» . . واستئصال الغدة . . الناس يا لطيف ألطف أصبحت عيونهم فارغة ، فهم يحسدون على البسمة ، «أعوذ بكلمات الله التامات من شر عين لامة . . (ومن شر حاسد إذا حسد) . .

ويركزون :

لا هم دنيا ولا عذاب آخرة !!

ثور الله في برسيمه !!

شايف حاله !!

الله بطعم اللي ملوش أسنان !!

كان في نفسي أن أسمع منهم مرة واحدة : «الله يكون في عون» . . !! فتحوا وصيتي بعد موتي فوجدوها بيضاء من غير أذى . . فتساءلوا عن السبب الذي جعل الورقة بيضاء ، واحتاروا في الأمر كثيرا . . ثم فجأة وقف أحدهم قائلاً : «الوصية مكتوبة بالخبر السري» . .

ذهبوا إلى الخبير ، وبعد تفحص ما ، قال لهم «الورقة بيضاء من كل سوء» . . ضحكت في عبي من محاولاتهم الدؤوبة لمعرفة سر الورقة البيضاء . . وضحكت كثيرا عندما جاء أحدهم ذات مساء وقال لهم في اجتماع عام : «جاءني المرحوم الليلة الماضية ، وقال لي : في الورقة البيضاء سر كبير ابحثوا عن مغزاه . . سأعطي كل واحد منكم ورقة بيضاء ،

وعليه أن يكتب آخر ما قاله له المرحوم ، حتى نعرف السر . . . » . . كانت
مناظرهم مضحكة وهم يحاولون التذكر . .

تذكر ذلك الرجل القابع في الزاوية حزينا أنني قلت له آخر ما قلت
غاضبا من تصرفاته الهادئة تجاه ما يحيكونه له : عليك ألا تبقى مثل ما
يقوله المثل الشعبي (ثور الله في برسيمه . . .) .

ثور في برسيمه . . ثور الله في برسيمه . . .
اسمعوا يا ناس الورقة البيضاء تعني أن المرحوم لا يملك شيئا ، لذلك
بقيت وصيته بيضاء!!

هذا كلام فارغ ، لماذا لا يكون أحدكم أخذ الوصية الأصلية ووضع
مكانها الورقة البيضاء!!

هذا كلام صحيح . . الرجل طيلة عمره في غربة ، وليس من المعقول
أن يكون على الحديد!!
من بدل الوصية!!؟

كلنا متهمون حتى نكتشف الحقيقة

اسكت : فأنت مثل ثور في برسيمه . . !!

إنني أضحك كثيرا من عراكم الذي لم ينته إلى نهاية ما

إنني ما زلت أرى الناس الطيبين وهم يترحمون على موتي . . ويطلبون
من الله أن يغفر لي . . هيا هيا قل معي أيها القارئ الكريم : رحمك الله يا
كاتب هذه الحكاية ، ورحم الله جميع أموات المسلمين . . (إنا لله وإنا
إليه راجعون) . .

الليلة الشاردة..

الواردة

فصم فصيحة جدا

إهداء:

الحروف أجساد تندف بحزن الراحلين بلا وطن .. والكلمات مشاعر
الخريف وزغردة النساء الحزينات .. والجمل أطفال يجوبون البقاع بلا
مأوى متسكعين .. والفقرات مسنون بلا أولاد .. وأنا قصة تعب أهديها
إلى كل المتشبهين بآت مليء بضمائر كريمة .. إليكم أيها الموجدون
بمضائركم تتدفق اللغة .. إليكم أيها القادمون من المستحيل تورق الأوراق
البيضاء .. إن الحياة حكمة .. والحكمة معبر إلى الخلود .

فهاينأار :

وأما ما كان من البطل الهمام صاحب الذكر الشهير المدعو بسالم الزير فإنه كان قد أحناء الدهر وضعفت قواه ، وهو مع ذلك مواظب على أكل الطعام وشرب المدام ، وكان لا ينام إلا وهو لا بس عدة الحرب والصدام ، وما زال على تلك الحال حتى برز له أسنان وصار عقله مثل عقل الولد . . . (سيرة الزير سالم)

قال عيروض : أتذكر ما وعدتني به أيها الملك؟ فقال الملك سيف : وأنا عند وعدي علي الوفاء به . فقط أترك هذا الأمر حتى نعود إلى حمراء اليمن . فقال عيروض في إلحاح : سيشغلك هناك أولادك عني . فقال الملك سيف وهو يبتسم : أنا لا يشغلني شيء عن الحب . وأنت تحب . وأقسم أنني لن أهدأ حتى أجمعك بمن تحب . فبلادي يحكمها الحب وحده الذي هو جوهر ديننا . وكما جمع الحب بين الإنس من أتباعي فلا بد أن يجمع الحب بين الجان منهم أيضا .

(سيرة سيف بن ذي يزن)

خيانة مفصودة

كل الذين شاهدوا حالة الأرملة الجميلة قالوا :إنها كانت ، وما زالت بكامل قواها العقلية . وأنهم مستعدون للإدلاء بشهاداتهم في أي مكان ، حتى ولو كان هيئة الأمم المتحدة!كنهم في النهاية لم يملكوا من زمام القضية سوى الحديث عن خيانة مقصودة ...

فالمرحوم كان عاقرا ، وأرملته المسكينة تورثت كل ما كان يملك بحكم صك بيع موثق . فثاروا ضدها ، واتهموها (أقرباء المرحوم) بالجنون ، وتزوير الوثائق الرسمية ..

في الخفاء رسمت المؤامرة ، فجردت الأرملة التعسة من أملاكها ومن ضمنها خاتم عرسها القديم ، وأودعت في «غرفة المجنونات » في زاوية من سجن النساء العام ...

كانوا ثلاثة متآمرين : مات الأول في بئر خربة وهو مفلس بعد عامين من القضية المذكورة التي لم يشهد فيها الناس . والثاني هاجمه الشلل الرباعي وأنفق كل ما يملك بلا جدوى . أما الثالث فأصبح يسير في

الشوارع على غير هدى ، لا يعرف من أين ستأتيه مصيبتة التي
تترصده . وهو ربما لا يعرف أنها قد تكون الجنون نفسه الذي لفق لتلك
المرأة قبل خمسة أعوام !! ..

ردد العجوز الجالس بين مجموعة القاعدين يمارسون لعبة «النقرة»
على ناصية الشارع الترابي العام : « سبحان الله ، يمهل ولا يهمل » !! .

نفسه

اجتمعوا بعد المغيب المدبلج من بين ثنایا الموت مهزومین مهزوزین
تعساء حفاة ، ذبحوا خيولهم ، وشربوا دماءها خمرًا .. وكانت بينهم امرأة
تفقد ملامحها الأنيسة ، كأنها « غولة » ..

ومن حفرة منزوية طفح السيد الجديد المولّد بهرش وجهه المسطر ،
يدخن شيشة النصر في المرحلة الحرجة . تلتف حوله أجساد منهوبة لا
حياة فيها إلا للشخير وبعض القهقهة . بينما تتناثر العيون تجاه كل
المسارب . ونحو المرأة الغولة ..

وعلى مضض زرع العجوز الذي فقد ساقه في الحرب الأولى ؛ ليعج
في دماغه ذكريات موته المجاني الذي لم يسجل في الجنازة الأخيرة ..
فأشعل تبغّه ، ثم نام ... فأراح واستراح ..

وجميعهم « حكوًا » خلف رقابهم عندما مرت قريتهم الجنازة التي لم
يشاركوا فيها .. الجنازة محمولة على الأعناق المتعبة من غير صهيل ،
يتمدد فيها طفل قتل بصلية رصاص .. إذ كانت الصلية أسرع من حجره

المحذور في سلسلة بنود القاعة المرتصة بالغرباء .. إن الموت تفسخ
للغاصبين ... وهو مع الطفولة بقاء التوحد ...

الرحيل

(أ)

مع صياح الديوك العابثة بعد هجع الساهرين ، وقبيل أن تهل خيوط
الفجر الناعسة ، كانت الخطوات الهاربة من خوفها تتهادى بحذر مع الظلام
غير مبالية بالأشواك وعثرات الحفر المظلمة ...
وجه يلوك مرارة الرحيل ، ويدان مرتجفتان تشدان عصا حنونة ، وبقايا
متاع قديم ..

هناك ينام المستحيل القاسي القلب ، رافضاً آخر توسلات العينين
المكسورتين في حدوث معجزة ما تفرش للراجلين «وسادة الآملين»
بالولادة الجديدة من رحم الرعاع الضائعين ..
كان عليك أن تغادر المقابر قبل أن يتجرأ الأموات على اصطيدك بأفواه
من ذئاب مسعرة ...

هيا تلفع بالرحيل المطرز بنهم الأكلين لحومهم بعد المغيب .. وكلّ
الظهير .. وقصعات اللثام ..

هكذا ترحل محملاً بأحزانك وأحزان الرحيل وخوف الرحيل وكل الضياع . لتبحث عن نجمة الصباح ...

(ب)

في كل هذه الوديان لن تجد غير الشعراء البائسين يشاركونك ملح الليل ، وقرّة ترقب النجمة ..

فيا أيها المبعوث بحزنك لتخرجهم من أحداث ماضيهم ما ضرك لو وضعت رأسك بين الرؤوس وقلت «يا قطاع الروس»؟! .. لتسلم ..

ويا أيها الأموات الجاهلون بما يحيط بكم ، ما ضركم لو تأملت مرة واحدة بعد العشاء كيف تزهو الطريق بالولادة غير المشوهة؟! ..

حملوه في نعشه ، وبخربة بعيدة واروه بالتراب ، وترحموا على لغته المهدورة في نفايات الشوارع . وتلوا على قبره :

(والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون) ...

وتوقفوا من غير أن يكملوا بقية الآية .. وهكذا انتهت الحكاية !! .

الشبح

شبح نهاري (يموه كنهه) يلاحقهم كلهم .. تختفي من ذاكرتهم
عصيانات الزمن الغابر ومقارعة النمل المسالم الماشي في خط مستقيم ...
إنهم كانوا ينظرون إلى ذاك النمل يكثُر في انحناءات الصخور الجيرية
المردمة .. وبين حين وآخر إلى ذلك الطير الصغير يشدو على غصن زيتونة
رومية جافة .. يتصورونه يشدو أغنية لبريق دافئ شتاء ، ثم فجأة يخيم الشبح
منتشرا بالقراصنة الذين يسرقون أقنعة الدفء من حجور الأمهات ، راسمين في
الشوارع الغول والرخ والغراب والبوم وبعض الذئاب وكل الخراب ..
الشبح يقتل فرحتهم بعد أن أصبحت بذرة ، توشك أن تصبح
عوسجة .. والزمن يهرب فزعا من تحت أسفل أقدامهم حاملا تراب
قبورهم آخر الأشياء المباحة مجانا في صكوك التتار والأفاكين
والقبائل ... هكذا حالك أيها الفارس العربي الذي يتوجس خيفة أيضا
وأیضا من يوم لم يأت بعد في زمن تغيب منه خطوة البداية . !!! هكذا
نواجه الشبح الصارخ ... بالتفسخ ..

العنقاء

قال الرجل الذي يشرد فكره دائما :
ولدنا فيها .. ومنا جاءها التراب ، ولأجلنا بعث الخالق سبحانه المطر ،
ولنسائنا أزهرت عشبة برية ندية ، أخذت رحيقها نحلة ، وبيضة يمامة
سارحة ..

زحلق الطفل بالعسل ، فتدحرج خلف البيضة التي غطست في
النهر ، ففقس ، فخرجت منها الحورية ، فأنقذته ، وقالت له : لا تمت !!
هي أرضك ، وقبرهم .. واحة برتقالك المشمسة ، بسمة صباحك
وموات مسائهم ...

كبر الطفل وغنى :

أنا الباحث عن بذرة التعالي .. أنا المدندن : إنهم يبحثون عن
رأسي ... ورأسي عنقاء لا تموت إلا لتحيا ...

أنا العنقاء (قل لهم (أيها الشجر) : يا طيور الرخ !!) ..
أنا طيور رعد (قل لهم) (يا حجر الصوان) : يا غربان الوقت !!) ...

إنني أنا خضرة الثرى وزرقة السماء ...
وهناك زمني القادم لن يرحم الغرباء الغزاة .. (قل لهم) أيا
بحر ..) : إن زمني القادم لن يرتوي عشق القتل وتقبييل المهج في كل
المغتصين ...
أضحكون .. يقولون لون لون لون ... «أنت لست العنقاء .. أو سيد
النهاية .. لينخدعوا .. !!»
إنني أنا (قل لهم) (...) : يا كل المخدوعين (سيد اللغة الحارقة ،
و بشائر عنقاء الولادة .

دُيَا

- ماذا يفعل هذا الرجل هنا ؟
- كما ترى ؛ إنه مازال يأكل الفئران .. وهذه الأفعى تخرج من بطنه .. تقف في حلقه ، ولا يملك غير أن يفتح فمه .. يتنفس ، ويأكل الفئران ..
- وأنت لماذا لم تعد تأكل مثله ؟
- الحمد لله ، تخلصت من الأفعى ، ولم أعد أكل الحرام ..
- ماذا يوجد في هذا ؟
- تقصد في هذا القلب الصغير الأحمر ؟
- كما تقول !!
- دراهم قليلة خلصت من الحرام لأجلك ..
- خذها ولا تخف !!
- إنها لا تشبعني !! .
- وهل تريد أن تأكل الفئران ؟!
- إنني لم أعد أريد حتى هذا القلب الصغير .

شخير

يتوهم المارون على الجنازة أن الميت يمارس الشخير . وقد روى سارد هذه الحكاية أن رأسه كاد يتفجر من شدة الشخير عندما اقترب من الميت المذكور . !! .

الميتم والموت والسارد وهو وهما وهم وهن وأولئك وهؤلاء والذين ومتى وكيف ولعل وكلهم جميعا . لا يشبعهم غير التراب وكل السكون . . وكيف يمكن أن يكون هناك شخير؟! على أية حال قال السارد :

هه !! ولكن . . !! لم أحشر مع النذب ومع الميت يشخر ، ومع السيد يتقهوى البن العربي ويمص الشيثة الشعبية ، ومع البشر البسطاء يصفقون لقرارات معطوبة تتجمع في صفحاتها الملوثة بدماء الصغار كل الأساطير المسطورة في أزمنة اللون الأصفر الباهت ، هذا اللون الذي يصبغ القبعة البالية التي ألبسوها لنا منذ موت حداثنا الممزق من غير رحمة . . حمل السارد حقيقته ، وهرب إلى جهة غير معلومة!!

قالت حبيبته المغبونة :

هل ما زال ذلك الطفل يعشق القلق ، ويعزف بنغماته الحزينة
التي تذكر بأسطورة قديمة ؛ ذهب فيها هديل يبحث عن حبة قمح
ارتوت بالماء .. فلم يجدها .. فمات .. وبكت بعده حتى الموت .. تاركة
بيضتي نعامة حارتين ..

مسحت دموعها ، ونظرت نحو الغرب فسمعت الشخير .. ثم نظرت
نحو الشرق .. فرأت بسمة بين غيمتين .. تخيلتها بسمة المهاجر المجنون
ارتعابا من الشخير!!

فمتى يعود متى يعود متى يعود ؟!

شطب

- هذا هو كتاب الشرف قد وصلك أخيرا !!
- ماذا حدث فيه ؟!
- اسمك غير موجود بين قائمة الأسماء المكرمة !!
- لقد قرأته .. صدقوني لقد رأيته بعيني هذه !!
- المهم أنه لم يعد موجودا !!
- وأين دفن ؟
- اسأل نفسك !!
- كيف ؟!
- هل حملت السلم بالعرض مثلا ؟!
- لا أظن !!
- هل أزعجت أحدهم ؟!
- ربما .. !!
- هكذا شطب اسمك !!

نافذة

نافذة السقيفة الأثرية ما زالت تطل من فوق التلة العجيبة الغريبة
على الغبار :

المساحات شاسعة ... والبنىات شاهقة .. وهذا السير السريع
في الشوارع المرصعة ينجز صخباً مشدوداً في أفق محدود لا أسمع
فيه صوتي .. كل ذلك لم يبلغ من ذهني صورة امرأة هربت مني قبل
أعوام ...

بحثت :

عن رؤية منعشة تعيدها ...

عن ارتدادات إلى مختلف الرياحين الفاشلة تغريها ..

عن الأمنية التي عاشت تلاحقني منذ الطفولة تبني لها
الزمن الآتي ..

عن لغتي التي لم تخلق عندي زمناً غير هذا الزمن البائس لتمارس
الواقع ..

عن حالة الضياع إثر امرأة تزوجت سيدا ثريا يتاجر بقوت البرية ،
ملقية بالعشق في قعر هاوية ..
إنها نافذة إلى الخروج من الضياع لي . وإلى الجنائز . لامرأة غدرت
بعشقها في مدينة آثمة . ! .

أحذية فارغة

توقف الممرض الجديد أمام غرفة الموت الدماغي ، فكانت الأسرة ساكنة من غير أنين ..

وفي الجهة اليسرى من المدخل الضيق كانت الأحذية الفارغة مغبرة منذ زمن بعيد ، تأملها بخوف ، وحزن عميق ، نقل نظراته إلى الأسرة القريبة .. كانت الحالات المرضية متناهية في السكون ..

أعاد نظرة منكسرة إلى الأحذية التي يتلاعب بها صدى السكون .. ماذا بوسعه أن يفعل .. بإمكانه أن يحشوها ، يقصد الأحذية ، في كيس نظيف ، ويذهب بها إلى العراء ليدفنها هناك .. لكن ماذا لو قام أحدهم وطلب حذاءه !! حينها ربما تفرج .. قد يذهب ويشتري له حذاء جديدا ..

الأمر لا يحتاج إلى التعقيد أو التأمل كثيرا !! تناول الأحذية الفارغة .. وفي ساعة كاملة باعها في السوق القديم ، واشترى بثلثها حذاء جديدا بنمرة 47 .

فوا جيديا

(أ)

قالت الأعرابية التي أنجزت الولادة العادية بعد حفلة النذب العادية : « إن الولادة بشارة الموت » ...

وتلقت ما قالته الجريدة صبيحة عراء الجنازة بعد مغيب الشمس ، وربما في ليلة بعيدة الدجى .. أو ربما نقلته عن الصحيفة المعارضة . وهكذا راجت المقولة : « إن الولادة بشارة الموت » .

قال قبل موته لإعادة ولادته : « أمسى مستعمرنا يوثق الوثائق ، ويشرب القهوة العربية تحت نخلنا ، ويحتسي جسدنا بعد دردشة غزلية سريعة .. وربما غازلنا بتهديد عن طريق تفعيل الحرب الأخيرة (النوعية طبعا ..) إن لم نستجب ونوقع الوثيقة الأخيرة بكل رحابة صدر .. وهكذا نتنازل - من وجهة نظره - عن قبة الصخرة ويصبح أطفالنا عبيدا .. ونساؤنا الجواري .. ويحشر الشيوخ في النار ذات الوقود .. كما علينا وبكل بساطة أن ننهي كل شيء من حياتنا الجديدة

ضدهم ولا بأس أن تتفاعل انشغالاتنا مع الذاكرة في صراعها بين الوهم والواقع إلى هلم جرا ..

ولا مانع أن يتطلب هذا منا أن ندخن كثيرا ، ونشد على سيجارتنا ، ثم نبصق في وجهها ، وأن ننث الثبغ في الهواء ، لنتابع انتشاره بارتياح .. حتى ندمل القراح ..

(ب)

الموت حكاية طويلة .. والولادة قصة سريعة (تسعة أشهر!!) ..
إنهما تراجيديا تتلوى جذورها كأفعوان تلقى ضربة قاتلة على رأسه ..

هكذا يجب أن نعتقد ونعيش .. وهكذا يجب أن نخفي ما بأنفسنا من المذلة والمرارة والضياع والتشرد .. دون التفكير إطلاقا .. وعلينا ألا نتأمل ماضي أجدادنا!!
(لا تذكروا الفروع .. نحن في معاهدة .. والمدينة عاصمة للأبد ..
لا تذكروا الفروع ووقعوا ... ليولد البنك من غير شئ أو ضحك .. هذه الحكاية من البداية إلى النهاية ..)

هذه الصور الغريبة تلاحق الأشجار ، فتقضم عليها وعليهم مضاجعهم ، فيعلكون تحتها مرارة يومهم وجوعهم .. وفي الليالي الحالكة الظلمة ، تتحول الصور الرمادية إلى كوابيس قاتمة ، فلا تعود تظهر ملامحها الممتزجة باللون الأسود .. لأنها ضحكت ورقصت في قاعة واسعة ..

(عراكات يجب أن تجري يوميا بتواتر .. لا اتفاق في القضايا الكثيرة .. على الذاكرة أن تتحول إلى قعر من النسيان .. يجب أن يتقاتلوا بلا رحمة)

وأخيراً يجب علينا ألا نسأل عما قالوا في القاعة الواسعة؟؟؟

انعطافة فائقة

ما الذي فعلته تلك المجنونة .. كان عليها أن تتوقف عن سخافات الطفولة الغبية ، وتعرف أنها لم تعد صغيرة لاهية .. يبدو أنها لم تذاكر الزوايا المنفرجة (التي تقتل في أحيان كثيرة) جيدا !! .. علموها أن الزاوية القائمة خطرة إلى حد كبير !! وأن السلامة إذن تكمن في الانحسار داخل الزوايا الحادة!!

انعطفت انعطافة صغيرة جعلتها تتجاوز قدرا ضئيلا الزاوية الحادة ، فيقال إنها توقفت عند القائمة ، وفي رواية أخرى تعدتها نحو الانفراج انحرافا بقدر شعرة من شعرها الأسود الفاحم .. لذلك ماتت !! ودفنت في مقبرة بعيدة من غير شاهد أو كتابة !! .

كيف تعلن (المجنونة) العصيان الضئيل ، وترفض العريس الموسر وتعلق بمدقع تغنى بها في قصيدة ذات أمسية !! .



كانت أمه - في صغره - تحدثه عن خرافات العفاريت .. لم يكن يعرف ما الذي كانت تقصده عندما تقول بعد كل حكاية : «اللهم اكفنا شر عفاريت الإنس قبل عفاريت الجن» !وفيما بعد عرف ...
الخلاف يظهر على أنفه الأشياء !! بين من ينام على يمين الفرشة أو يسارها !! بين من يأكل بالملقعة أو بأصابع يده !! بين بين .. بين وبين .. لم يعد الاتفاق إلا على ألا يتم الوفاق بخصوص فروعنا !!! كما يجب علينا أن نوافق على أصولهم ، مع كونهم أشباحا !!!

وعلىنا أيضا أن نطيع السيد حفار القبور حتى لا يجوع في وقت الاحروب .. علما بأنه ما أن جاء إلينا حتى أصبح مليارديرا ثريا ، ووسع نشاطاته المخفية ...

قبل الموت : الانفجار العنيف يسيطر على الدماغ .. فالأرض

تدور .. والجسد يرتجف .. والصمت يهوي إلى قعر عالم مظلم .. ثم
تتحلل الجثة .. وربما تبقى القناعة الوحيدة لتقول :
«لا بد من الرحيل في زمن الأرض إلى المستحيل من
أجل الأرض ..» .
بعد الموت :

ربما يبدأ يقل تدريجيا شخير الجسد المضطجع في ساحة
الندب الواسعة .. وقد يسأم السيد الذي يلحق شيشته العاشرة قرب
الجسد المتفسخ ... أما أمه فكانت تدعو الله - دائما - أن يؤمنه
وجميع الناس الطيبين في أوطانهم!!
وتقول بعد ذلك : آمين .. !!

سفوط جوي

منذ أكثر من عام والصغير الساذج يتحين الفرصة المناسبة ليمارس لعبة الغواية .

في كل يوم من أيامه المنتشية بمغامرات السوبرمان .. وهو يتحين الفرصة الذهبية . . كانت الشقة على مستوى الأرض . . ولا يملك غير مغامراته الضئيلة ؛ الانطلاقة من فوق الكرسي . . الانطلاقة من فوق خزانة غير نسائية . . القفز في المساحات الفارغة . . محاولات ساذجة وغير لافتة !! .

قبل يومين انتقلت الأسرة الصغيرة إلى شقة في الدور الثالث (الأخير) . . إنه الآن يشاهد حركة الشارع من فوق السطح ، يراقب كنسر ذكي الحالات الغريبة .

وما أن شاهد رجلا يقود ابنته الصغيرة حتى انتفض بداخله السوبرمان من غير جناحين ، ومارس قدر النهاية !! .

فظة أليفة..

قبل أن تقلع السيارة الحمراء إلى جهة غير معلومة تمكنت القطة الأليفة عن غير وعي من الصعود إلى المقعد الخلفي ..
أخذتها غفوة مريحة لم تمؤ خلالها ولو حلما لتشعر بوجودها ..
قضى السائق وقتا في متجر في السوق المزدهم بالعجلات الحارقة ..
خرجت من النافذة ، كما دخلت ، وتأملت بداية الجهات كلها ما عدا جهة واحدة ..
ثم أضحت هناك جثة ما لقطة كانت أليفة قبل أن تخرج في نزهة غير محسوبة .. !!

نفايس حكاية واقعية

المرأة العجوز .. تبحث عن علاج في مدينة كبيرة لزوجها المريض
في قرية صغيرة .. نقودها يسيرة .. تسير في الشوارع المهيبية .. حافية
من النعال الجديدة ..

تتوقف عند « المعالج » فيطردها لأنها - كما يقول - دجالة خبيثة!
تبكي المسكينة بحرقة سخية .. وترجو خالق البرية .. وتعرض بقايا
الدراهم هازمة الجوع والسير الموحج ..
ويطردها أيضا ..

تسير في وسط الشارع من غير إدراك لإشارة .. فتصرخ بها الفرامل ..
فيقذفها « السمين » بالشتائم ثم بعد ذلك بصفحة لثيمة ...
تركب في الحافلة .. فتنزل في قرية غريبة ..
خطأ يا عالم يا هو ..
وتصرخ :

أعيدوني إلى قريتي يا من توحدون الله .. لا إله إلا الله ...



في ذلك الليل قامت البلدة على رجل وساق... كثير من الناس
راحوا يتراکضون بحذر وراء تلك الهمهمة الغريبة التي حدثت في
الحي القريب من بركة الماء جنوبا..
وفي الجهة الغربية من المكان المرتعب بالحركة الصاخبة انطلقت
الأعيرة النارية كالبرق في هواء ساكن، مما قطع الركب، حيث عاد
الجميع هاربين إلى بيوتهم لينزوا في الأماكن البعيدة عن النواذ..
ولم تعد الكلاب تنبح بهوج كما كانت تفعل قبل إطلاق
الرصاص.. فالنباح الذي أصبح مغمورا، تشتت بين الأماكن المتباعدة
وكأنها حالة من الحذر أضحت الكلاب تمارسها بعضها مع
بعض..

جثة

ألقيت جثة الرجل الأشيب في الشارع العام .. من أين حُمِلت؟!
لم يكن أحد يعرف القصد من ذلك كله .. لكن كبار السن توقعوا
أن يتحمل ذكور البلدة (من المقمط في اللفاع حتى الشايب الذي
يتنازع مع رmqه الأخير) الدية إذا كانت الجثة من بلدة أخرى ..
لذلك حوّل شيخ الجامع وقال « يا ستار استر » ...

حجر

بعد لحظات انطلق حجر الظلام إلى رأس الحاج المريض عيسى
البائس ، فحفر له رأسه ، فسقط من توه مجندلا على الأرض ، ولم
تنفع محاولات ابنه البكر في إنقاذه ..
الكل توقع أن يحدث الصراع المرير الدامي بين العشيرتين
المتنافستين على السيادة منذ بداية تاريخهما الأول بعد الانشقاق
على الجد الكبير الذي مات قبل مئة عام ...

الصغير

لم يدرك الصغير قبل صلاة المغرب عمق الأمانة ، بعدما فعله أبوه به وبأخوته الصغار ، عندما حمل الأرنب المطبوخ «بطنجرتة» وتوجه به إلى صاحبه الذي أعلن عن ضياعه في سماعة المسجد ...
لقد حسبه الطفل الذي أمسكه أرنبا برياً .. وإذا به يمسي أرنبا بلدياً وله صاحب ..

لم يترك أبوه شيئاً من المرق بعد توسلات الأم .. أقسم على حرمة مع آثاره .. وهكذا أخذ الجمل بما حمل .. ودفع أيضاً ثمن موته لصاحبه ..

تصورها الطفل ليلة شؤم من أولها ..

حليمة

في شمال البلدة صرخت ربة البيت حليمة تستنجد بالمختبئين
ليبحثوا عن صندوقها الذي سرق من غرفة النوم عندما تركتها
لتستطلع أمر الهمهمة ..
لم ينجدها أحد غير الصغار . لكن النسوة توقعن أن يكون لوالدها
قصاص الأثرفي البلدة دور كبير في معرفة الحرامي ..

انغصاب

لم تكن الأمور مرتبة إطلاقا عندما تأمرت أم جعابر مع أختها على
العذراء فاطمة ابنة أختها ..
فأمسكتا بها معا .. وقام جعابر باغتصابها ، ليقضي بذلك على
طموحها بالزواج من شاب وافقت على الارتباط به ..

زواج

مشيئة الله ثم الصدفة وحدها كشفت علاقة أستاذ المدرسة المتزوج
بالأرملة العجوز ..

أمسكوا به معها وربطوه بالحبال ..

ولم تتمالك السيدة نفسها ، فقدمت لهم وثيقة الزواج الرسمية ..
حيث أخفيا الحقيقة مدة شهرين ، فتصارعت الشكوك حولهما حتى
انكشف المستور في رعب الخائفين ..

سورة

بكل صعوبة تمكن المختبئون من إعادة غنم العجوز شاكر الذي لم
يكن حوله أحد من أولاده ..

في حين خسر صيدلي البلدة خرافه التي سحبت من السيرة
المقامة بجانب الفيلا الفارحة ، وهو ينظر إليها ، لأنه لم يمارس الصراخ
على الآخرين .. كما أنه خاف على حياته .. ويا روح ما بعدك
روح ..

حب

هل تمنى ذلك الطالب الجامعي أن يخرج من غرفته المندحرة ،
ليقرع نافذتها ، وليقول لها كلمة أمانة في هذه المعمة العجيبة ..
لم يكن حبه أكثر من حالة تواصل عن طريق العيون ..
كان يدرك مدى توقف ابن عمها في حلقه الجاف .. لأنه
فارسها المنتظر الذي «يطيحها عن الجمل» .. !!

الليلة الشاردة الواردة

في الصباح جمع اليهود أهل البلدة في ساحة مدرسة البنات ..
أطلقوهم بعد العصر .. أخذوا جثة الشارع إلى المدينة .. دفنت
البلدة عيسى البائس .. توصلوا إلى سارق صندوق حليلة .. أشياء
كثيرة تحولت إلى حكايات .. لكن الطفل ما زال مسكونا بحسرة ذلك
الأرنب التعيس الحظ !! .

بقايا من الهذيان

بقايا من الهذيان تنداح في مفاصل البوهيمي الذي يسير في
الشارع الفرعي وحيدا .. فيرى كل الأشياء معتمة باهتة غيرأنيسة ..
التاريخ بين حدين يجزرانه جزرا كجلد رث أعيدت له الدباغة ...
كأشياءه الممزقة التي لم تغسل منذ شهرين ...
يقولون الليلة عيد ، ها هي قد تقاعست الظلال اليومية ... وارتج
السقف .. فتمايلت الحواف ثم عانقت الشجرة طيورها ..
وقبلت الأوراق ترابها .. فأضحى الحب جسدا من البلوط ... جسدا
من الضياع والتلاشي ... والزمن الغجري ؟!
إنه ما ان انتهى الزمن الغجري حتى مات الحب ولم يدفن .. وربما
لم يميت ؛ لأنه ربما رحل منذ عشرات الحقب ...
اصطدمت جبهة البوهيمي بالجدار الذي واجهه على غفلة .. فعادت
إليه الذاكرة بعد يومين ، فاكتشف أنه « ابن ناس » كما يقولون .. لكن ما
زالت لديه بقايا من الهذيان ، كان قد سطرها في كتاب قديم !!

انتظارات

(أ)

تولدت انتظارات في شوارع طويلة مزدحمة بالمارة ، ينتظرون بناء على مواعيد قديمة أو ينتظرون « جودو » الذي سيحضر من الفراغ محملا بهدايا الصدفة . أو أنهم لم ينتظروا شيئا ، لأنهم في الأصل خرجوا لمحاربة فئران الملل . . إنما الشيء الوحيد المهم هو أن أغلب المنتظرين لا يعرفون بعضهم بعضا . .

وبكل تأكيد كانت كل الأشياء التافهة التي تحدث في الشارع العام مثيرة للانتباه في عيون الجمع الغفير من التعاء

لكن الإثارة الكبرى كانت في جسد ذلك الخمر الذي تعرى من آخر ملابسه ، وراح يمارس بوهيمية الحمار البلدي . وهذا ما جعل كل النساء يخرجن وينسجن من الشارع الذي أصبح موبوءا بالخمر المعتقة الرديئة . !!

(جـ)

تناثرت الحمام الناعمة فوق السطوح تراقب بعض السحب؛ وتنهل
من حرارة الشمس الدافئة ، وتنظر إلى المارة في الشوارع الضيقة
الكثيية .. يمرون رافعين رؤوسهم إلى الأعلى فتراهم العيون الساقطة إلى
الأسفل نحوهم ، تلتهمهم .. فتتحول الحرارة إلى معتدلة ، ويتحول آخر
الشتاء إلى ربيع!! ..

بيوت كثيرة دخلت الحمامات في ذلك الخميس الدافئ ..
بيوت كثيرة رقصت على الأنغام ... بيوت كثيرة عطشى في
عطشى في عطشى في انتظار ، وقد تحولت أشعة الشمس بعد مغيبها
إلى حارقة ..

رواد

ازداد عدد الرواد الساهرين في أماكن متفرقة !!
ويبدو أن المساكين هم الذين لا يملكون الثمن المرفه ...
وفي التلفاز بدا المسلسل السخيف مشاعا في مشاع في جسد ...
جون الأمريكي لا يخسر شيئا؟ ... هناك زوجه ، وهنا واحدة ، وهناك
أخرى ؛ هن ورغيفنا بثمن واحد ، وندفع له الضريبة مضاعفة ..
ويقولون عنه إنسان متحضر ، لذلك على الرواد أن يتحضرُوا ويسرفوا
في الخمر والتعري ، ليأخذ جون منهم ما يريد ، فيصباحوا في خدمته
«عملاء» متحررين ..

اختلاف

في المقهى الشعبي اختلف أربعة .. فأغلق المقهى لعامين ..
النتيجة : تعب الشايب ، بل شتمه الولد الذي لم يعد قادرا على
أن يلعب الورق .. والبنت من يومها قاصر مسكينة .. والجوكر
ورقتان .. والذين اختلفوا أربعة ، كل واحد كان يلعب على راسه ..
قامت الحرب الأولى ، ثم الثانية ، ثم السابعة .. فكثرت الجواكر ،
وحمي اللعب بالورق ، والكل يدفع للسمسار صاحب الحانة الذي يبيع
الخمير والنساء ويشجع المقامرة .. وقد انتشر الاختلاف لأنه الضمان
الوحيد لاستمرار اللعب وكثرة السماسرة وتوالد الجواكر ..

لحمر

في الشارع العام ألقى القبض على لص ، فتصارخ الناس
فرحين ، وأمسى الدركي يسكه كما يلقف القط فأرا حقيرا ..
أمسكه من ياقة قميصه . وكانت التهمة أنه غازل فتاة من غير إذن
وليها ..

وبعد البحث والتمحيص راح فيها المسكين «وطي» لأن ظهره
كانت غير مسنودة ... !!
تعرف الدركي على الجميلة ، فأصبحت تمثل في قصره دور الجارية ،
فالديموقراطية الجديدة ، لا تباع الجوارى في عصر الفضاء ، لكنها تشجع
التمثيل ..

فالدركي كان يشرب ويشرب ويشرب حتى ثمل بالماء وهو يحلم ..

نظائيف

- 1- تعددت الأسباب والموت واحد .. كانت الشوارع متفرعة ...
وأصبحت الطرق كلها تؤدي إلى نهاية من العجائب السبع ...
- 2- على الصمت أن يتحول إلى موقف ... هذه حجة الضعفاء
المنبوذين ..
- 3- الداخل : من بره رخام ومن جوه سخام ...!!
- 4- ويقولون : « اللي ما يعرف يقول كف عدس » .
- 5- الخارج : شهيق وزفير . !! هذه حالنا مع التسعيرة التي هي في
الطالع ؛ والحال كله من بعضه ..
- 6- المذيع : الليلة عيد ويقهقه بأغاني نجوم ستة شهور .. ولا مجال
لشعراء السبعينات في الحفل العام ..
- وحيدا كنت أراقب كل الأشياء ... وحيدا كنت أمارس بقايا من
الهديان .. أصرخ في داخلي .. آه يا حسرة على البصرة!!

ورطة

صدمت مركبة الدورية سيارته الخاصة قبيل المساء ..
حاولوا معه حتى يركبوا الخطأ على ظهره .. لكن الحقيقة بالنسبة له
كانت واضحة كعين الشمس في فضاء بلا غيوم ..
قالوا له : « اعترف بالذنب في الملفات الرسمية ، ونحن ندفع
تكاليف الإصلاح عن السيارتين !! » .
لم يثر في وجوههم كعادته ، إنما رد عليهم بكل هدوء : « أنا موظف
في الدرجة السادسة . وأنتم ما زلتم في البداية !! »
سجنوه في غرفة حارة ، وفي الصباح جعلوا الخطأ مناصفة : « كل
واحد يصلح على حسابه !! » .
لكن الدورية « صلحت على الحساب العام ..
بعد شهرين سرقت سيارته ، فأعيدت له بعد يومين ، وقال له
« الميكانيكي » لم تعد سيارتك صالحة للاستعمال !! » .
إنها - فعلا - ورطة !! .

المكافأة

- المساء قال لهم : كتبت عشر مقالات ، أعطوني المكافأة» .
- من طلب منك أن تكتب معنا ؟!
 - أنا كتبت ، وأنتم نشرتم !! .
 - ونحن لا نعطي إلا من نطلب منه !!
 - غريبة !!
 - ما غريب إلا الشيطان !!
 - ولكنني سمعت أنكم أعطيتم الشاعرة (ة) مبلغا كبيرا على مقابلة
سخيفة!!
 - لأننا نحن من طلب منها أن تشارك !!
 - ومقالاتي التي صنفق لها القراء !!
 - جريدتنا هي التي جعلتهم يصفقون لك !!
 - وهي لم يصفق لها أحد وأخذت !!
 - قال أحدهم مازحا - وربما جادا - لا تقارن نفسك يا شيخ بالجمال

الفتان!!

إنه الآن يخرج جارا أذيال الخيبة ، وربما في القريب العاجل سيعيد قراءة مقالاته ليصوغها بطريقة جديدة كي ينشرها في مجلة خارج الوطن ، لأنهم ربما يكافئونه . . لكنه ما أن علم خبر الشاعرة نفسها التي تنشر هناك حتى بدأ « يصفق!! » . . .

ليست صدفه

سار في الشارع بعد التاسعة ليلا ..
خرج إليه من المنزل المجاور للشارع الفرعي المتجه يسارا «رجل ضخم»
يحمل مسدسا ،ويدا تصفع صفتين حارتين ، وتجبره كفأر مغترب إلى
السجن العام ليقضي ثلاثة أيام على ذمة التحقيق ..
- كنت أسير إلى البقالة لأشتري شيئا أكله .
- من التي كنت تريدها من بنات الرجل ؟ .
- أقسم بالله لا أعرفه ولا أعرف بناته !!
ثم بعد لأي خرج بكفالة ..
وبعد ثلاثين سنة أعادوا التحقيق معه في القضية نفسها تحت عناوين
مختلفة :

العنوان الأول : « زقر الحجارة على النوافذ »
العنوان الثاني : « اختراق حرمة المنازل ليلا »

.....

العنوان الخامس عشر : انتهاك حرمة البيوت»

.....

العنوان الرابع والعشرون : «عدم الدخول إلى البيوت من أبوابها»

.....

العنوان ما قبل الأخير : « الحب غير المشروع » :

أخيرا قال له رجل ضخم آخر : « يجب عليك أن تعترف بأنك كنت
في حديقة منزله للسرقة .. وهذه أخف من تهمة التورط في الحب ..
وربما في العرض !! » .

- هل كل ما حدث معي صدفة ؟!! .

ربما الحالة مرتبة بين الرجل الضخم الأول وبينهم !!

صرخ في وجه ذلك الرجل الضخم المتآمر ، وأراد أن يشتم !!

جروه إلى الزنزانة بتهمة جديدة مفادها « التهجم على الدولة !! » .

هروب

- قال لصديقه القديم : بودي أن أعرف لماذا هربت منك حبيبتك !!؟
- لأنني حينها لم أكن أملك شيئا !!
 - ولكنك كنت تملك حبها !!
 - لكن ذلك الثري امتلكه بالمال ، فأخذه !!
 - هل دفع لك ؟!
 - دفع لها !!
 - وأنت خرجت منها على الحديدية ؟!
 - حديدة مصدية بعيد عنك !!
- عجيب أمر هذه الدنيا !! حتى الحب أصبح سلعة تجارية للمزايدة !!
إنهن يهربن من كل الفقراء ، وبعد الطلاق يحاولن العودة . هكذا
هربت . . وهكذا دفنت أحلام الطفولة !!
وهكذا جاءت تبحث عنه بعد عامين ، فقالوا لها : « من يومها حمل
أشياءه السخيفة وهرب !! » .

جلوس

قال لهم المدرب : قيام .. فقاموا ..
ثم قال لهم : جلوس .. فجلسوا ..
بقي واقفا صامتا ..
نظر إليه المدرب ، وقال بغيظ : جلوس ، فجلس ..
ثم قال له : وحدك قيام .. جلوس .. قيام .. جلوس .. قيام ..
جلوس .. قيام .. تعال ..
ملأت ضحككات المتدربين أذنيه !!
إنهم لم يعرفوا أنه كان يفكر بالطريقة الاستفزازية التي تحاصره مع
القيام والجلوس كل لحظة ..
ضربه على كفيه عشر ضربات بالعصا الغليظة ..
اعترف لصديقه الصغير أنه قام من غير أن يشعر . لذلك مارس
احتجازه مع الجلوس ..
وبعد يومين من الحادثة هرب من الكتيبة قبل أن يتخرج في الصف

الرابع الابتدائي ..
ربما لا تصدقونني إذا قلت لكم : إنه الآن مع المشيب ، يردد « قيام ..
جلوس . » في أحيان كثيرة !!

مدرسة خاصة

كتب الطلاب على الباب الرئيسي جملة « شرطية » :
(ادفع قسطا تنجح فصلا) .

قال المدرس الجديد للمدير الذي هو صاحب المدرسة : « انظر ماذا يكتب الطلاب » .

رد المدير ضاحكا : « أولاد شياطين » .

- ولكن هذا لا يجوز !!

- اسمع يا أستاذ ، الأستاذ الذي كان قبلك ضرب أحد الطلاب
ف فصلناه ، بصراحة أكل العيش يحب الحركة ، وغض البصر عن هذه الأمور
الصغيرة التافهة ضروري . بل ضروري جدا . وأنت فاهم البير وغطاه . !! .

حمل أوراقه الخاصة « من غير حاذور أو تستور » متخليا عن راتب نصف
الشهر ، كان هذا بعد أن ضرب الطالب الذي ضربه الأستاذ الأول . .

إنه لم يعد يثق بتلك المدرسة الخاصة ، لكن أولاده جميعا تخرجوا
فيها فيما بعد !!

حزن

قالت له أمه بعد زمن من البكاء : لقد حرمت أكل البطاطا ؛ لأنك كنت تحبها !! . هم سجنوك من هنا وأنا حرمتها من هنا !!
حمل حزنها على رأسه ، ثم تناول سيفه ، وراح يحلم بقطع الرؤوس التي تزرع جسورا من الأحزان في قلوب التعساء والخائفين ، وخاصة قلوب الأمهات ..
توقف عند الرأس الضخم .. لم يتمالك نفسه من الضحك .. إنه يتعجب من هول ما رأى !!
رأى الرأس الضخم مرتعباً أشد الرعب إلى حد الثمالة من كوابيس النمل الصغيرة !! ..
أغمد سيفه ، وعاد إلى أمه ، ليقبل رأسها ، ثم يضع رأسه في حجرها ، ويبدأ يهذي !! .

في الشارع

- على ناصية الشارع خارج البلدة كانوا أربعة ..
توقفت السيارة المدنية العسكرية وفيها يهوديان ، رجل وامرأة جميلة ..
قال لهم ماذا تفعلون هنا ؟ .
- نذاكر !!
- وأين البنات ؟
- المسلم يا خواجا لا يمارس الدعارة !!
- الدعارة في بيتكم ، أنتم إذا تعاملتم معي لنكشف أماكن
الفدائيين ، أعطيتكم أجمل من هذه ، وإذا أردتم هذه الآن (الجود من
الموجود) فخذوها وجربوا ..
- متشكرين ، مش ناقصنا مصايب !!
- على أية حال من يريد منكم ، فأنا موجود في الدائرة !!
ما زالت قصة فلان الذي قتله الفدائيون في الأذهان ..
غلط غلطة ، فتورط مع اليهود ، فصوروه إثرها عاريا ، فتعامل معهم ،
ثم تورط إلى الشمالة ، « فحكم على نفسه بالإعدام .. » .

كشاه

تناول عشاءه السفري من المطعم المجاور لعمله ، وما أن ركب سيارته ،
يسير وهو يأكل حتى وجد نفسه في حي غريب ..
سأل عن اسم المكان .. لم يسمع به من قبل .. طلب وصفة العودة
إلى المكان الذي قدم منه .. مكث الشخص الآخر مدة خمس دقائق
على الأقل يمارس رسم خارطة العودة ..
سار ساعة إضافية حتى وصل المطعم ، ثم بدأ طريقه من جديد
عائدا إلى بيته المزدهم بالفراغ ..

فزورة

قال لهم : ستقوم الحرب بعد شهرين ..
لم يصدقوه !!
قامت الحرب ..
قالوا له « سيشغل الكيماوي » ..
لم يصدقهم ..
قال لهم : ستنتهي الحرب !!
لم يصدقوه . فاشتروا الكمادات !!
انتهت الحرب بعد يومين .. وبدأ الحصار !!

الذباب

امتلأت الساحة الحدودية نهارا بالذباب والعائدين ...
ولما لم يبق هناك متسع للمرور بات الناس منتظرين صباح اليوم التالي ،
ومساء هجع الذباب ..

تمطى البعوض بعد غياب الشمس لميمارس الإبحار في الوجوه ..
وما أن جاء الصباح حتى فك المراقب المتضخم حزامه العسكري ، وراح
يهجم عليهم بين الفينة والأخرى صولة إثر صولة من أجل أن ينتظموا
في الدور حتى يمارس صاحب الأختام المتعددة وظيفته ..
وصلوا إلى المركز الأجنبي .. قالوا : إنهم شربوا الماء البارد .. ورأوا
الفوهات التي « تشفط » الذباب المغامر .. وقالوا أيضا : إنهم دخلوا
الحمامات النظيفة ، وجلسوا على المقاعد الوثيرة .. وربما قالوا : كانت هناك
« قارمة » كتب عليها . أهلا بك أيها الزائر الكريم .. ولا أدري كيف قيل :
إنهم لم يشاهدوا بعوضة واحدة .. أو حزاما ما ..

أسماء

خرج نعيم الداري مع أخيه تميم الداري رضي الله عنهما .. إلى الشمال حيث عاش أجدادهما الكنعانيون .. سكن نعيم « كفر بريك » بلدة جده الرابع عشر .. فأصبح اسمها « بني نعيم » .. كان قد دخلها لوط عليه السلام بعد أن دمر الله القرى الست : سدوم وعمورية وما جاورهما ..

زارها إبراهيم عليه السلام فرأى البحر الميت ، فتشاهد : « أشهد أن لا إله إلا الله » .

تقع على هضبة جميلة ، وأشجارها مثمرة ، ولها مسفرة شاسعة .. وبيوتها حجارة بيضاء ..

إنها تتحول الآن إلى محاجر .. إنها تتحول الآن إلى انهيارات ..

قال لي طالب الجامعة : لماذا يأستاذ سمي البحر الميت بالبحر الميت؟

قلت : لأنه في الأصل القرى الست التي رفعها الله سبحانه وتعالى وخسفها في الأرض . فمات الخلق جميعا إلا لوط ومن آمن معه ..

ككك

بدأت المظاهرة الساعة السادسة صباحا .. وانتهت السادسة والنصف
بعد أن أعتقل الجميع .. حمدوا الله أنهم ضربوا على مؤخراتهم ..
وبعضهم حمدوا الله أنهم ضربوا على رؤوسهم .. وبعضهم أيضا حمدوا
الله أنهم ضربوا ضربات شاملة ..
وبعضهم بكى بحرقه لأنه لم يضرب .. والسبب أن المضروبين قالوا
عن غير المضروبين : إنهم مع السلطة !! .
تناولوا كلهم وجبة العدس الوحيدة في العاشرة ليلا . . وحينها كان
التلفاز يهذي بكلام كثير . . منه أن المعتقلين هم من المتعاونين مع
الاحتلال . .
أفرج عنهم في الثانية صباحا ، فتوزعتهم الطرق باحثين عن بيوتهم
المجلمة بستاثر الليل ..

مراثية لسنة عصفير

مات خمسة ، وطار واحد ..
الحياة لحظات نادرة . ستة عصفير متأكفة من أربعة عاشت لدى
مثقف . الحقيقة أن أولاده كانوا يوفرون لها المشرب والمأكّل ، وهو أصلا
(الأب) قد وفر القفص ، والأم تنظف تحتها . فعاشت مكرمة . وأيضا
اشتراها قبل عامين من أماكن مختلفة ..
سافر أولاده ، ونسيها بلا ماء لصهد حرارة الشمس يوما واحدا ..
عاد في المساء فوجد الكارثة قد حلت . فتح الباب المفضي إلى الحوش
الخارجي ، حاول أن يسمع صوتها من خلال الظلام . أشعل النور ..
كان العصفور الأصفر منكبا على وجهه كأنه نائم ..
ارتدى العصفوران الأبيضان متقاربين بعض الشيء في الساحة
المكشوفة منقلبين على الجهة اليسرى من جسديهما الأبنوسيين ..
بحث عن العصفورين السكنيين ، فلم يجدهما بعينيه ، رفع وعاء
الحب فوجدهما متلاصقين في ظل يسير ميتين ..

وهكذا لم يبق غير البلبل البلدي ذي الطوق الأبيض ..
ركض إلى إحضار الماء . فشرب البلبل شربة .. أدخل يده إلى
القفص من غير وعي ، وأمسك البلبل ، فأطلقه في الفضاء ..
إنه لم يطر جيداً .. خرج يبحث عنه في الشارع العام .. فكان الظلام
يلف المكان كله ..
ندم ..

ما الذي فعلته؟! .. كان علي أن أطلقه في الصباح .. كان علي أن
أتركه يشرب حتى يرتوي!! .. ماذا لو تعرضت له إحدى قطط الليل .. قرأ
الفاخرة ، وتشاهد .. واستغفر ربه .. وعلى عجل وضع العصافير الميتة في
كيس بلاستيكي محكم ، ثم ألقاها في صندوق الزباله العام ..
تذكر أنه كان عليه أن يدفنها في التراب ..
ولكن أين هو التراب في هذه المدينة الواسعة؟! ..
يا لطيف الطف .. لكنها مأساة النهاية ..

حاريا

أو

البحوث يتنام في جوف الريموت

شعار: «إخا لم تكن حونا أكلتك الجيتان»

رواية

إهداء:

إلى أصدقاء المعاناة الذين ذهب تجاربهم هباء منثورا .. لكنهم ما زالوا
يصرون على أنها أنتجتهم على المستوى الشخصي !!
وأیضا إلى مبدعين منهم :

عبد الرحمن شلش .. طلعت سقيرق .. عمر شبانة .. ناظم
حمدان .. سمير الشريف .. أحمد شبلول .. إبراهيم إغلان .. سلطان
القحطاني .. أحمد قطرية .. حسين المناصرة ..

عمر المنقوشي

إشارة هملّة :

لا علاقة بين هذا الخطاب والواقع .. وما فيه من تصورات يمكن ربطها من ناحية الأمكنة أو الأزمنة أو الشخصيات أو الأفكار .. بواقع معين ، لا يتحمل الكاتب أية مسؤولية من هذا كله ؛ لأن الخطاب بمجمله تخيلي توهمي غير إسقاطي .. وعليه جرى التنويه .

زيد العامر

(١)

مدخل:

المتلقي الكريم ، تحية طيبة وبعد :

قد تقول لي من هو هذا زيد العامر الذي تحاول أن تشغلنا به ، وتغسله داخل أدمغتنا التي لم تعد تستهوي القراءة !!؟
صحيح أنه بطل رواية : «بوابة خربة بني دار» ، وكان من الممكن أن ينتهي أمره عند ذلك الحد . ولكن لو قرأتم تلك الرواية ، لوجدتم في نهايتها إشارة صريحة إلى ضرورة متابعة ما يستجد من أخبار هذا الصعلوك المنسي المسمى توهما لا حقيقة : زيد العامر . وما وجدته حقيقة في الفترة الأخيرة لدى زوجة زيد العامر-إن كانت فعلا زوجته ، بعد أن كسرت ، كما تقول ، حقيبته «الدبلوماسية» بعد سفره أو هروبه بعامين- بعض ما كتب ، أو تجمع لديه من نصوص لرفقائه ، و كان من أهم ما وجدته نصين

متشابهين لتجربة واحدة ، أحدهما رواية ، والآخر مسرحية .. وكان بإمكانني أن أشذبهما وأنشرهما ، كنصين مستقلين ، لكنني لم أفضل هذه الطريقة التي سميت تحقيقا ، حيث امتلأت مكتبائنا بالغث والسمين من هذه الكتابات التي لم تكن في زمنها ذات شأن ، وما أن يموت صاحبها حتى تصبح طقسا ، أو قيمة فنية مغمورة !! فلماذا يا سادة ، يا محترمون ، يضحك بعضنا على «ذقون بعضنا» ؛ كيف نقبل أن يموت أحدنا معدما مغمورا مضطهدا ، وبعد أن يموت يصبح أسطورة !! فإذا لم تكن مهما في حياتك ، فظن في أهميتك بين الناس بعد مماتك . إذ يجب عليك أن تكون بعد الممات مهما في أعمالك الخيرة التي قدمتها في الدنيا ، وإلا أصبحت هناك مثل هنا في خبر كان . كما يقول أسيادنا العوام ، ولا أريد أن أقص عليكم حكاية النحوي مع السباحة لأنها حكاية مشهورة !!

على أية حال أنا لا أريد أن أقدم لكم موعظة حسنة أو خطبة بليغة ، ولكنني أريد أن أشير إلى قضية أساسية في حياة زيد العامر نفسها ، ألا وهي أن ولادته الرسمية كانت مع هزيمة حزيران عام 1967 ، وأن غيابة الرسمي أو ميتته الرسمية كانت بعد هزيمة بيروت عام 1982م ، والذين يعرفونه جيدا ، يعرفون أنه كان منتميا إلى الثورة . . ليس المهم أي فصيل !! المهم أنه كان داريا ينتمي إلى الطبقة الكادحة تحديدا ، وإلى قاعدة الثورة بشكل خاص ، لأن القيادة - كما قال زيد العامر في إحدى مذكراته - كانت تورث بين البورجوازيين ، وقد ينجح في الوصول إليها بعض الكادحين الانتهازيين من أبناء جلدته !!

لقد سجن زيد العامر عدة مرات بسبب انتمائه هذا ، وأنه - في السجن تحديدا - كان قارئا من الدرجة الأولى . وما أن توقفت علاقته الرسمية مع الثورة بعد موتها من وجهة نظره منذ عام 1982م مكث حوالي أربع سنوات عاطلا عن العمل ، يتلقى مصاريفه من أخيه الأكبر ، كما كانت حاله عندما كان طالبا في الجامعة ، وأيضا منتميا إلى الثورة .

أصبح يقيم بعد موت الثورة ، أقصد - وأنا أسف على الكلمة السابقة - بعد هزيمة بيروت في مكان منزو ، قاطعا علاقاته مع المحيط الاجتماعي من حوله ، لا يفعل سوى القراءة ، والكتابة ، حيث أصبحت كتاباته المخطوطة المتناثرة ، كما يروي صاحب «الفهرست» ، تتجاوز الخمسة عشر مخطوطا ، ثم إن تجربة حياته - بحد ذاتها - مجال قد يكون صالحا لروايتين أو ثلاث ، وكما سمعت منه في إحدى المرات ، قبل اختفائه ، أن لديه مسودات لثلاث أو خمس روايات ، وربما أكثر !! لا أذكر بالضبط العدد تحديدا ..

ساهمت كراو وأيضا كبطل من أبطاله في إصدار الرواية الأولى «بوابة خربة بني دار» ، وها هي الرواية الثانية تحاول أن تتشكل في صياغات نهائية ، لتنفصل عن تلك الرواية كما ونوعا ، ووظيفتي فيها لا تتجاوز قراءة مسودات زيد العامر القديمة وإعادة ترتيبها وتحسينها لتكون صالحة للنشر ، ولا شأن لي بالتالي بأية مواقف ترضي أو تزعج الآخر . فالشخصيات تعبر عن نفسها بطرقها الخاصة ، أو بالطرق التي اختارها لها زيد العامر ..

وتشارك زيد العامر في هذه الرواية شخصيتان مهمتان كانتا ضمن الخلية الثورية في ذلك التنظيم الذي هو من اختراع زيد العامر .. وصدقوني عندما أقول : إن هذه الشخصيات ما هي سوى خيالات لا صلة لها بالواقع .. وأنتم تعرفون ضرورة مثل هذه الإشارة في عالمنا اليوم ، فالواحد منا لا تنقصه المصائب حتى يبحث عن الجديد منها ، لذلك على كل مركز أمني في بلادنا المترامية الأطراف - وهي بلاد «واق الواق» كما سماها زيد العامر في إحدى مسرحياته - ألا يعتقد للحظة أن في هذه الأوراق معلومات أمنية يحتاج إلى التحقق منها ، فيدخل الكاتب في سين وجيم هو في غنى عنهما منذ أن ماتت جدته يرحمها الله ، حيث كانت تقص عليه أخبار الشطار والعيارين والعسس .. فيأتون إليها

محذرين ، فتحلف بالله أنها تسير الحيط الحيط وتقول يا رب السترة!!

مع خالص ودي واحتراماتي لكم ..

عمر المنقوشي

شخصية من شخصيات «بوابة خربة بني دار»

15 رجب 1418 هـ / الموافق 15 نوفمبر 1997 م

(٢)

حاديا

تتمدد كامرأة حبلى فوق هضبة لها رؤوس متناثرة ..
منها ينطلق الذنب طويلا طويلا نحو الصحراء والبحر المالح ..
وترقبات المطر ..

لا شيء في الأفواه سوى الجذب وبعض الخصب .. وما زرعتم ، وما
أكلتم .. وكيف تغلبتم على المشكلة تلك ..
داريا نزقة .. تتوالد بالعشائر القادمة من رحم الخوف .. تحارب
الجذب .. والصخور .. والغزاة .. وتسرق لقمة عيشها من بين أضراس
الذئاب .. !!

فيها نفث «نعيم الداري العبد شمسي» مجد أجداده الكنعانيين
فقام بتأسيسها .. ولأنها كانت «كنعانيا» فقد احتفلوا به وبها فأضحت
«داريا» بلادا جديدة ..

هضبة مليئة بالمغر والطيران وعظام الديناصورات ..
هضبة عاشت محاربة .. وفيها «قوم جبارون» .. في وقت الجذب
يبحثون عن آثارهم الماضية ، فيبيعونها بثمن بخس كي يأكلوا بقايا
أجسادهم القديمة ..
في الجنوب الشرقي يضطجع البحر المالح حيث تنتهي جبال داريا
المديدة ..

ينخسف وسطها إلى الهاوية حيث سدوم وعمورية وبقية القرى الست
التي قلبت عقبا على رأس!! ولجأ لوط وأهله -إلا امرأته فكانت من
الغابرين لحقتها الصخرة التي ما زالت تقبع كقراة في خاصرة الجبل - إلى
داريا حيث الأمن والسلام !!

في طرف داريا تطل «الشواهد» كحد يفصل بين الخوف والسلام ،
هناك سمح للوط عليه السلام أن ينظر خلفه .. ليرى ما حل بقوم دعا
عليهم بالويل .. وما أن نظر حتى تشاهد .. وما زال أهل داريا يتشاهدون
كلما وصلوا إلى هناك .. وبينون الشواهد ؛ يصفون الحجارة بعضها فوق
بعض ويتشاهدون .. ثم يقتربون من الخراب موغلين في
«المسفرة» .. ويحرصون على العودة قبل المساء ؟. وما أن يدخلوا داريا حتى
يتشاهدوا .. لأنهم عادوا من رحلتهم الموغلة بالخوف سالمين .. !!

بعد الشواهد يقف الجبل الكبير كشاهد تمتد من رأسه انحدارات
الخسف إلى قعر البحر المالح .. وفي رأس الجبل هذا يفتersh المسجد
الصغير ربع المساحة مطلا على الفضاء .. هنا مقام لوط .. وبجانبه صخرة
ملساء حفرت بها أعضاء الصلاة .. هنا صلى إبراهيم عليه السلام .. وفي
مغارة تضاء بالشموع من قبل النساء العقيمت طلبا لرحمة الإنجاب .. هنا
مدفن بنات الحسن والحسين .. وفي البئر القديمة العميقة بلا بقايا الماء ..
هنا بئر الأنبياء والصالحين والأولياء .. هنا داريا أسطورة كنعانية تتمدد في
رحم العروبة !!

كيف جف «الجهير» بعد الاحتلال؟!

من فخذ الجبل ينبع الجهير بماء كالشهد المحلى بعسل الملكات .. طور كبير فيه مغارة من الماء .. يرفد داريا ينبع آخر يمتد على طول أربعة أميال .. فجره الاحتلال الأخير .. التتر الجدد .. فانغلق الشدي ، وغاب الماء ، هكذا تصبح داريا جسدا عقيما!!

كالبق الداكن الذي ينتظر لحظة الانفجار في الجحيم حيث تلتصق مستعمرات الغزاة في أجنحة داريا المثقلة بالقيود ..

البق يختار رؤوس المرتفعات ليبني حصونه الآيلة للزوال ، المرتعبة من كل شوكة تنمو في الأودية المتشعبة بللمة «المسفرة» في جسد أسطوري ينعش تلك الصخرة التي لحقت تلك المرأة العاصية حيثما ولدت كل الغزاة الباحثين عن ديار «داريا» !! ..

المسفرة حوت ينام الآن في جوف الريموت .. لكنه حوت سينهض من جوف الريموت ..

الريموت حيتان تجمعت من كل الغزاة فابتلعت حوت المسفرة .. حوت داريا ..

هكذا لا بد من زمن تعيش فيه النملة مسجونة في خف الفيل .. الذئاب .. الحيتان ..

النملة .. تصبح حوتا .. النملة تدمي مقلة الحيتان البغيضة الغازية .. النملة .. حوت يلد من رحم النملة .. الحوت يعيد ترتيب «المسفرة» .. ترتيب داريا الجديدة ..

جسدا أخضر تتمدد داريا في فصل الربيع فوق هضبة تتناثر فيها ألوان الورود .. حيث تطير العصافير مفردة .. ولا تبتعد الغزلان كثيرا عن مواطن الأقدام ..

هنا داريا المحررة من كل الغزاة !! ..

هنا داريا التي شعارها : إذا لم تكن حوتا أكلتك الحيتان!!

(٣)

مغازلة الرفف 6

من تكون أنت أيها الموجل في القيود؟؟
بصمت أفكر فيك ليل نهار !!
فأشعر بالتقيؤ من أخيك صانع القيد المكبل ..
هل تكون ويلا وقذرا في صورة وحش ما
يسقط فوق عنقي المتآكل !!!
أم تكون حنانا ورحمة
تلف جسدي المنهك بالآهات نحو النهوض .. والرياحين الغربية .. ؟!!

وبصمت أناجيك في الشتاء
وأكتب عنك رؤية صيفية
ومن أخيك قتلنا شر قتلة عمياء

والضيم نرفضه
لكننا نحيا التشرد .. والضياح .. والهزيمة .. !!
وأخوك خمسة .. غازل السلطة .. وحمل الفقير جزية .. !!
فمن تكونان ؟!!

لن تعجبني مغازلتك بصمتي ..
أريد أن أصرخ .. لأسمع أمي صرخة جدي
يقتله التتري خلف الحدود البعيدة ..
وتقول لي : اصبر .
وأخوك يقتلنا
يلاحقنا
يهزأ بنا
ويقول لي : لن يهدأ الموج .. ولن تطيروا ..
يا حسرتاه أين المسير ..
وخيامنا قد شتتت ..
وتأكلت ..
وتقول لي : اصبر .
لن ينفع الصمت
ما دمت في الغيب
والغربة !!
أهتف بالشمس : هلمي ارفعي القربه
لتروي عشاقك الجوعى
وتهبي عروقي الجمرة ..
ومالك بن الريب يموت في الجيش غازيا .. يرثي نفسه .. لأنه ببساطة
لا يريد الغزو ، وعنده الوطن !!

ويضيق صدره

يأكله النمل

والعظام تموت . . وقطعة لحمية تنبض

وتبقى تنبض

تبقى تنبض

لا ، لن تموت . أبدا لن تموت يا ابن الريب لن تموت . . فاحمل سيفك
وقاتل !!

مضى عام ١٩٨٥ ، وهلّ عام ٨٦ يحمل كل مجهول ، مظلم ، وبروق
أمل ، وشيثا من الحب والحنين ، وضياء ، ورعدا . . لكنه مظلم ، إنه سيرقد
على رقبة عام مضى . .

كانت أيامه تمر ببطء شديد تأكل أكثر الناس إحباطا ، من عنده
طموح ، المعدم من الطموح ، من لديه جدلية الطموح مع الوعي . . الوعي
لا يحبط ، لكنه يمر بفترات اليأس . . ومن الطبيعي أن يشعر أكثر الناس
وعيا بحرارة الموت والحزن والضياع والتشرد . .

كيف يمكن أن أعيش في الضياع والتشرد ؟!! عليّ أن أحاول قدر
الإمكان ، أن أتعايش مع حضيض الفقر ، أن أقول ها أنا أشارك شعوبا تموت
في أفريقيا ، مثلا ، من الجوع . . أن أعيش مأساة شعب يباد
بالآلاف . . وأقول هنا وهناك من يموت . . ولن يخسر العالم كثيرا إذا مات
آخر داري في هذا العالم . . ربما قصدي آخر ضمير داري . . لأن الدارين لن
يموتوا . .

هل أنت وحدك صاحب ضمير حي ؟!!

لن يكون الشر مقتلي وحزني . .

عليّ أن أتوقف الآن عن الكتابة ؛ حيث سأشرب الشاي ، وأكل بعض
الطعام . .

ولدي عذري فيما بعد لو تغير شيء من تفكيري ، خاصة وأن أكبر

تأثير على التفكير يأتي من جهة المعدة ، لذلك أتوقف هنا .. لأترك المجال
فيما بعد للكتابة أن تأخذ «مجاريها» كما يراها الكاتب الذي يراقب
تصرفاتي بشكل حاد ..

مع خالص الود وأطيب التمنيات ..

زيد العامر .. 1986/1/7م

(٤)

النملة

توقفت النملة الصغيرة الحمراء في قلق شديد على الحد الفاصل عند
شبك الزنزانة الحديدي السفلي ، فوق الأرضية الخارجية المبلطة بالبلاط
البنّي الفاتح . . ولحظة أن رآها زيد العامر صدفة طلب من صاحبيه أن
يصمّتا بحركة مزدوجة من يديه معا وهو يهمس : «هناك نملة»!!

قال حسن وهو يستجيب غريزيا للهمس : «وماذا يعني هذا ؟!!»

- اسكت فقط ، وادع ربك أن تدخل النملة إلى هنا لتقيم معنا !!

حاول صلاح أن يضحك كعادته بصوت مرتفع ، لكن الموقف الخرافي
الذي حل فيه فجأة تجاه نملة حقيرة حشر الضحكة في ابتسامة مكتومة
متسائلة عن هذا الزائر العادي الذي يتحول إلى غريب أو أسطوري :
«نملة!!» .

اقتربت خطوات النملة كثيرا من المدخل الضيق ما بين أسفل قضيب

الحديد العريض وسطح البلاط المتعفن .. محاولة الدخول من باب ضيق
كخرم الإبرة ..

- سأراقبها أنا ، وابحثا أنتما معا عن أي فتات من بقايا الطعام ..

يا ربي ، سهل مهمة دخولها ، وافتح الأبواب أمامها!!

بحثا ضمن تخوف عجيب حل بهما فجأة ، وأعطياه بعض البقايا
المتناهية في الصغر ، وراح بهدوء شديد يوزع البقايا على مقربة من المدخل
الذي اختارته النملة للدخول إلى الزنزانة ذات النور الخافت ..

- وأخيرا دخلت .. لا أريد أية حركة منكما . علينا أينما تذهب أن
نبتعد عنها ، لتصل إلى نهاية الزنزانة لتقيم هنا ..

سارت ببطء شديد مسافة نصف متر فانحشر الثلاثة في الزاوية
اليسرى تاركين الطريق لها مفتوحة لتدخل إلى الزاوية اليمنى ، وكان زيد
العامر يردد بهمس :

- أهلا وسهلا ، تفضلي .. البيت بيتك .. نحن الضيوف هنا .. أنت

صاحبة البيت الحقيقي .. أنت المعزبة .. ونحن الضيوف ثقلاء
الدم .. سنغادر .. تفضلي يا مباركة!!

اقتربت النملة من فتات الخبز ، تشمته مرات ، حاولت أن تحمل
قطعة كبيرة ففشلت .. ربما حاولت أن تجزئها ففشلت ..

قال زيد العامر هامسا همس الهمس :

كان علينا أن نتنبه إلى حجم هذه القطعة الكبيرة قبل أن نلقيها في
طريق النملة !!

اعترض حسن بشكل أزعج زيد العامر عندما قال هامسا : هناك قطع

كثيرة أصغر من هذه القطعة .. ألم تعجبها إلا هذه ؟!!

- النمل يا غبي مثل الإنسان ، يحب المغامرة في الشراء والشروة ، ولكن

بطريقة جماعية لا فردية ، فهو ليس صرصارا مثلك ، يتغنى بأفكار بلهاء ؛
الكلمة منها أكبر من حجم كل «حمولتك» !! .

ولما حاول صلاح أن يضحك بصوته الأجلش كما كان يفعل كلما قبح
زيد العامر شيوعية حسن لم يسعفه الموقف العام هذه المرة ، حيث العيون ما
زالت تتابع حركة نملة دخلت إلى الزنزانة الغارقة في قاع العمارة الضخمة
للمركز الأمني العام ، لكنه أخرج ضحكته ثأثأة بما دفع بزيد العامر إلى أن
يقرصه في فخذه محذرا بإصبعه الشاهد وهامسا : اسكت أيها الغبي !!
أدارت النملة وجهها إلى جهة الخارج باحثة عن قطعة أخرى ، وربما
عزمت على العودة إلى حيث أتت ..

- عودي إلى هنا يا مبروكة .. تفضلي .. البيت بيتك .. نحن
الضيوف الأغبياء !!

حملت النملة قطعة صغيرة ، حاولت أن تندس بها من تحت
القضيب العريض إلى الخارج ، لكنها واجهت صعوبة شاقة ، فتركت فطريا
القطعة خلفها لما استعصى الأمر عليها .. واندست مفردة من تحت
القضيب العريض .. ثم خرجت متجهة إلى اليمين .. وتلاشت عن
النظر !!

- كان علينا أن نلتزم بهدوء أكثر !! لكن علينا أن ننتظر فرما تعود
وتقيم هنا بعد أن عجزت عن إخراج قطعة الخبز .. إذ ربما ذهبت لتخبر
قرباتها عن أرضنا الخصب المليئة بالطعام .. علينا ألا نغلق فسحة الأمل
هذه !!

- يا شيخ زيد قل لنا ماذا تعني هذه الخرافة الصوفية ، أنا شخصا
التزمت الهدوء من أجلك ، لا من أجل نملة حقيرة ، بصراحة أنا راعيت
مشاعرك فتصرفت معك بفطرية ساذجة !!

- لأنك تحمل عقلية مادية ساذجة لا تؤمن بالروحانيات ، ولا يمكنك
أن تفهم هذا التصرف العبقري الذي قامت به هذه النملة العميقة
الإنسانية بكل معنى الكلمة .. ولكن يا للخسارة !! فلو أقامت هنا لخرجنا
كلنا من هذه الزنزانة المتعفنة إلى العالم أحرارا طلقاء اليوم أو غدا ..

- كان عليك إذن أن تحملها وتضعها بنفسك على فرشتك ، وتقول لها : أقيمي يا سيدتي هنا ، لأني سأخرج أنا!!

- لو فعلت ذلك لما أصبح هناك فرق بيني وبين السجبان الذي سجنني . ثم حتى نخرج من هنا يجب على النملة أن تقيم بمحض اختيارها معنا !!

- عجيب أمرك ، يساري وتؤمن بمثل هذه الخرافات ، «شوف» صاحبك يا صلاح ، بدأ يهذي ، السجن أثر على عقله . ويريدنا في هذه الزنزانة الملعونة أن نصمت ونهمس ونؤمن بخرافته!! . يريدنا أن نسكن معنا نملة لتكون الطريق الممهد لخروجنا من هنا . هذه حكاية ولا في الخيال !!

قال صلاح معلقا بحكمة هذه المرة ، ومن غير أن يضحك : يضع قوته في أضعف خلقه . ألم تسمع عن البعوضة التي أدمت مقلة الأسد . ما عرفك!! إن لله في خلقه شؤون!!

- فهموني كيف !!؟

- عرفت من أمي ، أطال الله في عمرها ، أن مجيء النمل إلى مكان تنزل فيه ، معناه أن ترحل أنت ، فإذا كنت لا تريد الرحيل من المكان فعليك أن تقاوم هذا النمل ، وتمنعه من السكنى معك ، وإذا كنت تريد الرحيل ، فاتركه يتخذ بيتا له في بيتك ، ويسر له معيشته لييسر الله لك الرحيل إلى مكان أفضل مما أنت فيه!! وما فعلته أنا هو أنني حاولت أن أجعل النملة تقيم معنا ليأتينا الفرج !!

- حكم آخر زمن !! .

- على أية حال ، نحن لم نخسر شيئا ، والفراغ يقتلنا ، ولا مانع أن نتنظر بعض الوقت لعلها تعود !!

- أكيد . انتظار جودو !!

قال صلاح مشاركا بجدية في الحوار :

- لكنها قد تعود ، وتحمل الأكل ، لتقيم في زنزانة أخرى!!

- وربما تقيم عندنا إذا بقي هذا المكان خصيبا !!
- وأين ستقيم ؟!!
- هيا نحفر لها بعض «الخزوق» في الجهة اليسرى عند سرير حسن!! وبإمكانها أن تختار الخزق الذي تريده ..
- لا ، يا حبيبى . احفر عند سريرك !! وأنا أقترح أن تعقد عليها القران إذا كانت أنتى !!

خرجت ضحكة صلاح على راحتها ، مما أزعج زيد العامر!!
- لا تضحك يا غبى ، فهى قد تكون في طريقها إلى هنا!!
- سأقوم لأمشي . (قال حسن)
- وإذا عادت ؟!! .
- حينها سأجلس على السرير العلوي احتراما لمشاعر حكاية أمك لا غير!!

بعد ساعتين من مجيء النملة التي لم تعد ، وقف الحارس على باب الزنانة ، وفي يده ورقة :
- زيد العامر الداري .
- أنا!!

بعد أن أصبح لك أكثر من شهر في الزنانة ، فإنه سيسمح لك أن تخرج يوم الجمعة مدة ربع ساعة تمشي في الشمس ، كما يسمح لك أيضا بأن توصي مندوب المشتريات أن يشتري لك من فلوسك ؛ إذا كان لديك فلوس في الأمانات ، معجون أسنان وفرشاة ودخانا .. مبروك !!
- الله يبارك فيك !!

- حسن إسماعيل الداري
- أنا .

- مثله .. مبروك .

- صلاح عبد رب النبي الداري

- أنا .

- مثله .. مبروك .

- بعد خمسة وثلاثين يوما سنخرج لرؤية الشمس !!

قال حسن ساخرا :

- كل هذا بفضل نملة !!

احتج صلاح وقال :بفضل الله يا غبي ،ثم بفضل نملة زيد العامر !!

- لماذا تستبعدون ، ربما سمعت النملة الحديث الذي جرى في الإدارة
عنا ، وجاءت تخبرنا ، لكننا لم نفهمها كما فهمها النبي سليمان عليه
السلام!! ولو أقامت هنا لكانت الأمور أفضل بكثير !!

تمدد صلاح ، وكان أكثرهم إيمانا بالله إلى حدّ الاتصاف بالرجعية من
وجه نظر حسن ، في المساحة الضيقة التي يشغلها سريره حيث كان أكثر
تأملا هذه المرة من صديقيه اللذين دخلا في حوار لا يحب المشاركة فيه
خاصة وأنهم الثلاثة في تنظيم واحد ، وكل منهم له فكره الخاص به ،
وبالتالي يحدث الخصام في قضايا لا يمكن حلها بشكل ودي لأنها
متناقضة إلى حد كبير . . فزيد العامر الأديب القاص اليساري معجون
بالخرافات والأساطير ، يضاف إلى ذلك إيمانه بقدرة الله على صياغاته
الجمالية لهذا الكون ، وهو إيمان لا يتزحج كما كان يعلن دائما مكررا : «أنا
ممكن أن أكون في أقصى اليسار من ناحية التفكير الثوري ، لكن يجب أن
تفهموا شيئا واحدا وهو أن هذا اليسار يجب ألا يكسر إيماني بالله
وبأخلاقيات الإسلام والتدين التي ورثتها عن أُمِّي» . .

في حين كانت المسافة التي يجد فيها حسن أمه تعيده إلى مساحات
من الشقاء والحكايات العجيبة الخرافية التي لم تعد تجدي في حياته . .
لذلك كان قلبه قاسيا تجاه الدين كله لحكاية روتها له أمه عن معاناتها
لأجل أبيه المريض !!

هل تريدون أن تسمعوا حكاية أم حسن ؟!! قد تقولون ستبدؤ من

البداية تفكك لنا الرواية !! وقد تقولون :لماذا هذا الاستطراء والحشو؟؟
هي مجرد حكاية قصيرة يمكن اختزالها إلى حد كبير ، وبعدها سنتابع
حكاية أصحابنا الثلاثة في زنانتهم الضيقة ..
الرواية الجديدة عموما تحتاج إلى الحكيم داخل الحكيم على طريقة ألف
ليلة وليلة .. لإكساب الخطاب الروائي حالته الملبسة اللعبية !! اسألوا
الكاتب ، فما أنا سوى شخصية من شخصياته الروائية ، عشت حياة
ملبسة في «بوابة خربة بني دار» ، وهنا أنا راو للأحداث والأخبار ، هل
صاح الديك !!؟
علينا الآن أن نتوقف .. فقد قرب الفجر ، وصاح الديك .. وحل
النوم .

(٥)

فلاحة

(بقلم : حسن الداري)

- يظهر أملّي في الشفاء كأمل إبليس في الجنة !!
- لا تقنط من رحمة الله !!

أشرقت الشمس الحزينة مبللة بالندى ، فقامت من الفراش تصخب بعينيها الذابلتين .. نظرت إليه .. تحسست الغطاء .. نظر إليها ..
ركبت «باص» القرية فأنزلها في المدينة . وركبت «باص» المدينة إلى المدينة الأخرى .. وبعد أسئلة كثيرة للمارة في الشوارع ، تمكنت من الوصول . شعرت بدوار في رأسها ، وبتميع في معدتها ..
لم تدخل معبدا من قبل ، لكنها شعرت بقدسيته ، كشعورها بقدسية المسجد .. لا فرق بين الأنبياء .. وهن مؤمنات مادمن يعبدن الله .

وفكرت أن تصلي تحية المسجد في الكنيسة ، وعدلت بعد أن توجست خيفة ما بفراستها . .

وجدت في طريقها إحداهن . . سألتها فأشارت لها بالذهاب إلى البناية الصغيرة المجاورة
- السلام عليكم .

هكذا حيت الثلاثة اللواتي يجلسن في غرفة يفضي إليها المدخل المفتوح . . فلفها الصمت المطبق!!

قالت للمقابلة على الكرسي خلف الطاولة . . يا أختي أريد الدواء الذي يدهن به الجلد . . عندي رجل مريض منذ سبع سنوات .

- معك عشر ليرات ؟!

خسرت أن تدفع عشر الليرات في دواء تعرف مسبقا أنه قد لا يجدي نفعا ، والفلوس تذهب مثل الريح ، ولا بد من التوفير من أجل شراء بعض الحاجيات ، خاصة وأن عشر الليرات اقترضتها من المختار حين تيسر الحال!!

- يوجد معي خمس ليرات !!

- اذهبي وأحضري عشر ليرات لتأخذي الدواء !!

- ولكنني حضرت من قرية بعيدة !!

- لا يوجد دواء إلا بعد أن تحضري الفلوس كاملة .

- الله يرضى عليك يا بنتي أن تقبلي الخمسة .

قالت المشغولة بحياسة الصوف : أنت لا تسمعين الكلام جيدا !!

- ومن شان النبي!!

- أي نبي ؟!

- محمد .

جلست على ناصية الشارع تتحسس جسدها المنهك ، وكرامتها المقتولة . . فكرت في الدواء الذي ستعود من غيره . . كان الدواء أهم من كل الكرامات على وجه الأرض! قررت العودة إلى المحاولة بعد أن بكت

من أجل كل شيء .

- معي عشر ليرات وأريد الدواء .

- وتكذبن أيضا؟!

لم تدافع عن نفسها مستسلمة للصمت من أجل زجاجة الدواء !

- الله يوفقك ، لا ترديني خايبه .

- لا يوجد دواء .

- ومن شان سيدنا عيسى .

- الكذابة لا تستحق الدواء .

- خذي ثمنه بالكامل .

- إن لم تخرجي ، سوف نضربك مرة أخرى .

- اضربيني ، ولكن أعطيني الدواء .

- نضربك ، ولن تأخذي الدواء .

أكلتها الدموع الحارقة ، خنقتها اللغة ، فانفجر صوتها في الهواء : «لم ينفع محمد ، ولا عيسى ، ولا ثمن الدواء ، ولا الضرب . . يا رب ارحمنا برحمتك يا كريم يا الله» .

سارت في الشوارع بلا اتجاه ، ضيعت الطريق التي قدمت منها ، بحثت عن مواقف الباصات ، لم تعد تعرف وسط الشارع من الرصيف ؛ «انعمي ضوءها» المشوار بلا فائدة . ضاع العقل . . ثارت آلام الجسد مرة واحدة!!

صوت «فرامل السيارة» يصعق الشارع . . بحثت عن مصدر الصوت ، وجدت نفسها لا تبعد عن مقدمة السيارة مسافة الذراع ، نظرت بخوف إلى الرجل البدين الذي يقود السيارة . . رأت علامات وجه أسمر تأكله الأمواج المكفهرة الحاقدة بلا رحمة . . شعرت بالأشياء تتشوه من حولها . انفتح باب السيارة ، وبعد صعوبة خرج السائق وهو يتابع الشتائم التي بدأها منذ اللحظة التي تحاشى فيها الحادث : «يا فلاحه يا بنت الفلاحين ،

تشين في الشوارع مثل البقر ، أتريدن أن أنبلي بدمك ؟! « حاول أن يصفعها ، لكن تجمهر بعض المارة ، جعل أحد الشباب يهجم عليه ، ويمسك بيده ، وهو يهدد : لا تتشاطر على امرأة مسكينة !!

وقعت على الأرض .. لم تعد تعرف ماذا يحدث لها في هذه المدينة اللعينة .. أقاموها ، وقفت على الرصيف .. إنها ليست غبية !! الكل في القرية يحترمها .. كانت تقوم مقام الرجال عندما يحضر الضيوف ، فتسقيهم وتطعمهم .. وقد تذبح لهم ذبيحة في زمن العز !! ..

انتفضت من الكرسي الذي جلست فيه لما ركبت أول «باص» توقف عندها .. صوّت رجل على السائق كي يقف . قال السائق وهو يوقف «الباص» : إيش في ؟!

قال رجل : يوجد امرأة ركبت في «الباص» خطأ . نظر إليها السائق من المرأة ، وفتح الباب الخلفي ، وقال : انزلي من «الباص» بسرعة .

- والأجرة !!

- راحت عليك !!

- يا خوي أنا تهت ، والإنسان غير معصوم عن الخطأ .

- ما في فلوس .

ركبت تاكسي ، وطلبت منه أن يأخذها إلى مواقف باصات «خربة بني دار» ..

(هذه الحكاية مهداة إلى تلك الأم التي رفض الضابط الكبير رجاءها ، فتساقطت دموعها كحبات اللؤلؤ ، فداستها الأقدام . وقد قال صلى الله عليه وسلم «الجنة تحت أقدام الأمهات» .

(٦)

الشقة

الثلاثة يقطنون في الشقة الأرضية من عمارة كبيرة لشر يعمل في الخليج ، وشقتهم هي الوحيدة المسكونة من قبل «العزوبية» في العمارة ، وما داموا طلاب جامعة في السنة الأولى ، أي أنهم صغار في السن ، وأيضاً قادمون من الريف البعيد ، فإن العائلات لم تحتج ، لذلك تألفوا مع الوضع ، بعد أن رضيت صاحبة العمارة التي تمارس دور الرجولة في العمارة ، محتضنة في شقتها العلوية ثلاث بنات ، الكبرى طالبة سنة أولى في الجامعة .

قال صاحب البقالة لرب الأسرة المجاورة :إذا كانوا سيئين ، فصاحبة العمارة أول من سيتضرر من وجودهم ، لأن أسرتها بلا رجل .
زوجها حي يرزق ، لكنه تزوج من امرأة أخرى صغيرة السن ، يقيم معها في الخليج ، وقد لا يحضر في السنتين أو الثلاث إلا مرة واحدة ، هذا

ما فهموه من صاحب البقالة الذي دلهم على الشقة ليستأجروها ، مضيفا أن لديها ابنا ذهب ليدرس في أميركا ، وهناك حصل على الجنسية وتزوج أمريكية ، وقد لا يحضر إلا نادرا ..

كانوا سذجا ، يمتثلون بأفكار بلدة أثرية تقبع على جبل مشرف على التدمير الكبير الذي حصل لقوم لوط عليه السلام .. ولم تتجاوز «زعرناتهم» في تلكم الأمكنة الجبلية الجميلة تلك الصورة التي توحدت بينهم عندما كانوا يفكون أزرة قمصانهم لتصبح كالأشرطة في الهواء الطلق ، تاركين المجال لشلحاتهم (الفانلات) الملونة أن تغطي صدورهم ، بألوان جميلة ، خاصة وأن هذه الموديلات الملونة جاءت مع الاحتلال ، فكانت شيئا جديدا ورخيصة في الوقت نفسه!!

وبحكم ظروفهم المتلاحمة مكثوا معا في المدرسة وفي الجامعة أيضا ، لكنهم في الأخيرة اختلفوا في التخصصات ؛ إذ التحق زيد العامر بكلية الآداب ، ودخل حسن كلية العلوم الإدارية ، وانتظم صلاح على مفض في كلية الحقوق .. ولما انتموا سياسيا انتموا إلى التنظيم نفسه ، التنظيم الذي يقبل كل ملة وكل ما هب ودب على رأي حسن .. وكان المهم أنه أجدر تنظيم يسعى إلى تحرير «داريا» بقوة السلاح . ليعترك المجال بعد التحرير كي يختلف الأعضاء حول الفكر الذي يجدر أن يوجه حركة الدولة الجديدة ، حيث يمكن حينها الصراع السياسي والثقافي في فضاء دستوري يراعي كافة الاتجاهات المتناقضة .. «إنه ليس من المصلحة العامة أن يتم الاختلاف قبل تحرير الأرض على قضايا لم يحن وقتها ، لأن مثل هذا الاختلاف يسعى إلى تكريس الاحتلال لضرب الوحدة الوطنية ، وضرب البندقية الدارية عندما تترك الاحتلال يصول ويجول لتتوجه إلى صدورنا بعضها ببعض على طريقة الإنجليز» فرق تسد .. وما علينا سوى أن نكون حذرين .. حذرين .. حذرين .. من هذه الناحية . إضافة إلى ذلك فإنه لا يجوز من الناحية المنطقية ، أن نختلف على لون الرسن

الذي سيقاد به الجمل قبل أن نحقق وجود الجمل . . وحتى اللون نفسه لا يصبح مهما إذا تم الحديث عن جودة وصلاحية وقوة متانة الرسن ،ومن الضروري أن يكون ذلك بعد تحرير الأرض بكامل ترابها ،فعليكم أن تطمئنوا لمسبب بسيط ،وهو أن دولتنا التي سنبنها ستختلف عن كل الدول المحيطة بها ، لأنها ستكون ديمقراطية مئة بالمئة ، وتبيح لكل أفراد شعبنا ، باستثناء العملاء ، بالإقامة فيها ، وممارسة حقوقهم كاملة ، وحررياتهم بلا نقص ، وتعطى حينها الفرص بطريقة التساوي لتصبح جمهورية فاضلة . هذا ما يستحقه شعبنا العظيم الذي واصل وما يزال يواصل كفاحه المسلح والشعبي لتحقيق كامل حريته على كامل تراب وطنه . إنها لثورة حتى النصر . .

صدقوني يا شباب إن هذا الكلام الذي أقوله لكم بصفتي مسؤول خليتكم لا يوجد فيه واحد بالمئة من الخيال ، بل هو الواقع الذي سنسعى إلى تحقيقه عن طريقكم أنتم لا غيركم ، فأنتم الذين ستقودون الشعب إلى النصر . . وبالتالي فمن حق كل واحد منكم مرحليا أن يعتنق الجانب الفكري الذي يراه مناسباً ، لكن بشرط وحيد وهو ألا يؤثر هذا الجانب المطلق الحرية على اعتقادكم الرئيسي بضرورة أن يكون السلاح هو وسيلتنا الوحيدة لتحرير أرضنا ، فما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة ، هذا هو الشعار الذي يجب أن نؤمن به صباح مساء ، ليل نهار ، يمين يسار . . وإنها لثورة حتى النصر !! .

دخل الارتياح إلى قلوبهم كصباح شتائي ، قام فيه صغار البلدة ليتوجهوا إلى مدارسهم ، فقالت لهم أمهاتهم : لا تقوموا ، ابقوا في فراشكم ، وعندما تساءلوا عن السبب المفاجئ ، قلن : لا مدرسة ، فالثلج يغلق الأبواب . فانكبت عليهم الراحة ساخنة كشاي الصباح مع كعكة لذيدة في يوم عطلة !

تصور أهل الحي شقة العزوبية في غاية المثال للجد والأخلاق

الكرمية .. لم تدخلها أنثى قط . وحتى عندما توفيت صاحبة البيت رحمها الله تاركة البنات بلا راع ، لم يظهر عليهم أي استغلال للموقف الجديد ، بل ربما ازدادوا تأديبا وبقظة .. ولم تكن العلاقة تتجاوز نهاية الشهر ، حيث يحمل زيد العامر مع صاحب البقالة العجوز المبلغ المتفق عليه للإيجار ، وقرعوا الباب معا فتخرج لهما إحدى البنات ، فيسلمها الإيجار ، ويعودا إلى حيث أتيا ، سالمين من كل سوء ، فالشاهد العجوز لا يشك بأخلاق الشباب أبدا ، لكن الأصول تفرض أن يذهب مع أحدهم لكي يبلغ شكاكو الحارة كلامهم . يضاف إلى ذلك أن بنات العجوز نفسه عندما يبعن في البقالة ، لم ترو إحداهن لأبيها ولو مرة عن مضايقة ما صدرت من أحد العزابية أو العزوبية ، رغم ما يبدية حسن أحيانا من إعجاب ملحوظ لزميليه بالبنات الصغرى المكتنزة باللحم ، والبيضاء الوجه !! لكنه كان يصف كل ما حوله من فتيات في سياق البورجوازية ، وعلى الكادحين مثله ألا يتعلقوا بحبال الهوى أو بحبال البورجوازية البغيضة ، خاصة وأن شوف عينك فيهن من حظ غيرك .. ، ومن وجهة نظر صلاح «رحم الله عبدا عرف قدر نفسه» .

تمنهج حسن في الفكر الشيوعي ، فأخذ يقرأ لينين وماركس وإنجل . وحاول زيد العامر أن يجمع بين التراث واليسارية الثورية ، فقرأ الثورات العربية إضافة إلى جيفارا ، وماوتسي تونج وغسان كنفاني . أما صلاح فكانت أفكاره مستمدة من حزب التحرير والخوارج وثورة الزنج ومسرحيات معين بسيسو . لكن الثلاثة تعايشوا نظريا مع وحدة البندقية ، وضرورة استخدامها لتحرير الأرض ، دون أن يخلو واقعهم من صراع أحيانا حول الفكر الذي من المفترض أن يحكم الدولة فيما بعد ، وأنهم اتفقوا جميعا على ضرورة محاربة المصالح البورجوازية التي يمكن أن تظهر آنذاك لتستغل تكوين الدولة لمصالحها الخاصة ، خاصة وأنهم الثلاثة أدرجوا أنفسهم في سياق الطبقة الكادحة ..

كانوا يدفعون شهريا ما معدله ست إلى اثنتي عشرة ليرة فوق الإيجار مساهمة لنحضر «جورة المية» الخاصة بالعمارة التي يقطنون بها . بعد ست سنوات فاض المرحاض عندهم ، ولم تنفع كل المحاولات التي أجريت لتسليكه ، وحينها كان لا بد من اتصال البنات بأبيهن في الخليج ، وبعد الاتصال أخبرهن أن شقة العزوبية كانت أول شقة بنيت من العمارة ، وهي الشقة الوحيدة التي لها جورة خاصة تقع فتحتهما في الحديقة جهة الشرق . وبعد مشقة توصلوا إلى بابها الذي نسي فانظمر . . فنحضرها بعشرين ليرة لم يساهم بها أهل العمارة .

جلس حسن يقدم دفعوه في الجورة الأخرى ، فوجد المبلغ يزيد على سبعة ليرة ، ولما قال علينا أن نخصمها من أجرة البيت ، أو نطالب بها البنات البورجوازيات ، وافق صلاح ، واعترض زيد العامر وهو يقول : «من العيب أن نطالب بنات لم يعرفن عن الموضوع شيئا من أصله» !! قال حسن : نقسم المبلغ على سكان العمارة .

رد عليه زيد العامر : لن نجني شيئا ، وسيقولون : احمدا ربكم أننا قبلنا وجودكم معنا في هذه العمارة !!

قال صلاح : والحل ؟ !!

قال زيد العامر : علينا أن نطلب العوض من الله !!

احتج حسن : يبدو أن حضرتك حاتم الطائي ، ونحن لا نعرف !! - لا حاتم الطائي ولا غيره ، المشكلة أننا سنطالب بمبلغ من المال لن يعترف به أحد ، وإن كان يمكن أن يكون هناك اعتراف بخطأ ما ، لكن القانون لا يحمي المغفلين . ونحن كنا مغفلين !!

- أنت المغفل ، وحده ، أنا أقول يجب أن نحاول مع البنات أولا ، ثم مع سكان العمارة ثانيا . لا نتحدث مع البنات مباشرة ، نطلب من صاحب البقالة أن يحدثهن بالأمر ، لا نريد منهن أن يدفعن لنا ، فقط نريد أن نسكن سنة مجانا تعويضا عما دفعناه !! .

تدخل صلاح بسخرية : زيد العامر يريد أن يصبح مثل جده الجاهلي
عروة بن الورد الذي شغلنا بسيرته منذ أن درس مادة الصعاليك في العصر
الجاهلي ، صعلوك يساري شهيم ..

سحب زيد العامر الغطاء على وجهه ، وبدأ يفكر بطريقة تخلصه من
لسانين كمقصي الخياطة . رفع الغطاء عن وجهه وقال لهما : تصرفا بأية
طريقة تريانها مناسبة ، فكل ما عندي قلته . . قلت انسوا . . أريد أن أنام . .
قال حسن : وهل تركت فيها مجالا للحوار ، سكرتها!! وتريد الآن أن
تنام!! مع القلعة!! انقطع الحديث بينهم عند هذا الحد .

قبل الساعة السادسة صباحا دبت عليهم أرجل الظلام ليلا ، فأقلقتهم
من نومهم ، وعاثت في شقتهم فسادا بحثا عن أدلة للإدانة .

بعد ساعتين من التحقيق في المنزل ، حملوهم في سيارة فخمة ، إلى
الزنزانة رقم ٦ في المركز الأمني العام ، حيث انقطعوا عن العالم الخارجي ،
إذ ما أن يسمعوا السطر الأول من أخبار المذيع الموجود في غرفة الحراسة ،
حتى ينخفض الصوت ، فلا يعود مسموعا . وما أن تنتهي نشرة الأخبار
حتى تصرخ الأصوات عالية بالأغاني الماجنة ، والتمثيليات
العاطفية . . فـصوت «الأخبار صحراء مقفرة ، والمجون نافورة من الضجيج!!»
هذه هي المقولة التي كان يرددّها زيد العامر باستمرار في الزنزانة .

(٧)

القادمون..

يبدو أن الساعة كما يتهيأ للثلاثة قد تجاوزت الثانية ليلا ، وقد نفروا من نومهم ، حيث اثنان ينامان على السريرين الحديديين السفليين ، والآخر ينام على السرير العلوي الشمالي إذا صح الشمال في الزنانة ، وما أن فتح ضابط الحراسة المناوب الزنانة حتى نقر النوم من عيونهم ، وأخذت العيون المبللة بالوسن تنظر إلى القادم الجديد الذي طلب منه الحارس أن يشغل السرير العلوي الغربي ..

قال القادم : صباح الخير .

فرد عليه زيد العامر بتثاقل : أهلا وسهلا .

وضع صرة ملابسه عند العتبة بجانب السرير السفلي الغربي ، واعتلى طرف هذا السرير من جهة الشمال مما أحدث صكة مزعجة في سرير زيد العامر ، وحينها أدار صلاح وهو قابع فوق السرير العلوي الشمالي ظهره

للجميع وراح يحاول إرجاع النوم الذي هرب من عينيه بعد حضور زائر آخر الليل ..

اكتفى حسن بهزيمة : «صبح القوم ولا تمسيهم» ، وانزوى للانحشار في متابعة ذكرياته التي ما زالت تلح عليه عندما يبدأ كل محاولة للنوم ، خاصة وأنه لم يحاول مثل زميله أن يقرأ القرآن وتفسيره .

لا يوجد في الزنزانة سوى نسخة مهترئة من تفسير الجلالين الذي قرأه صلاح مرتين في الشهر الأول ، وما زال زيد العامر في آخر النصف الأول .
قال زيد العامر : من أين الأخ الكريم ؟!

- من أنطاكية .

- لغتكم عربية .

- نعم .

- أهلا وسهلا .

- فيكم أكثر .

- الصباح رباح .

انشغل الصباح في ذلك اليوم بأن أكلوا كل منهم البيضة ذات اللون الداكن مع قطعة الخبز اليابسة والشاي الأسود في الكأس البلاستيكي ، وكانت شهية الضيف الذي أصبح رابعهم مفتوحة ، ولم يعد بعد حضوره إلى الزنزانة موطئ قدم لنملة .

قرص زيد العامر فخذي زميله في بداية الحديث من تحت لتحت ، مما عرفهم بالفطرة أن القادم الجديد قد يكون موظفا في إدارة التحقيق .

عرفوا من الناحية الأمنية التي كانوا قد تدربوا عليها في التنظيم أنه لا يجوز أن يكونوا سخفاء ويقولوا ما لديهم لكل غريب يحل عليهم فيما لو اعتقلوا ؛ لأن التحقيق غالبا ما يكون من هذه الناحية منتصرا على كل مقاومة ، وقد يحدث الولاء والثقة بأشخاص ليعقب ذلك انكشاف الأوراق كلها عند الإدارة .

الثلاثة مقتنعون بأن إدارة الاعتقال تعرف عنهم كل صغيرة وكبيرة من عملائها الذين يعملون في التنظيم نفسه كما عرفوا مؤخرًا ، أو على الأقل هذا ما تردد بعد اعتقال العناصر الأولى من التنظيم منذ شهرين قبل اعتقالهم .

ثم إن أحد زملائهم من خلية أخرى خرج بعد عشرين يوما من الاعتقال ، ليقول لهم ، وهم لا يعرفون هل كان صادقا أم كاذبا ، «أنا لم أقل شيئا ، ولم يضربوني كفا واحدا ، وكل ما قالوه لي بعد عشرين يوما من الاعتقال :

نحن لن نطلب منك قصة تنظيمك ، فقط نريدك أن تسمعها منا وتوقع على التقرير الذي كتبناه عنك . ومكثوا معي ساعتين وهم يقرؤون ، وأنا أستغريب ، حيث هناك أشياء أنا نفسي كنت نسيتها .

عندما انتهوا وقعت ، وطلبوا مني أن أتعامل معهم ، لكنني رفضت ، فقالوا على راحتك ، أنت الخسران ، وهذه المرة الوحيدة التي تقابلت فيها مع المحقق الذي كان يقرأ وأنا أسمع .

أما لماذا عملوا معي هذا التساهل فقد عرفت بعد أن خرجت ثاني يوم من التوقيع من أبي الذي قال لي :

«إن ابن عمك الوزير السابق تحدث مع المدير العام للمركز الأمني مباشرة بعد اعتقالك بيومين ، فقال له مدير التحقيق بالحرف الواحد الولد داخل مع شوية زعران في تنظيم من أجل الديمقراطية وقلب نظام الحكم ، سنقرصه مدة عشرين يوما فقط لصالح تربيته ونخرجه مؤدبا لا أكثر ولا أقل ، وحينها قال لهم ابن عمك خلوه ، مادام الأمر هكذا ، عندكم شهرا من أجل أن تكون التربية أصيلة» .

فوجئ زيد العامر في السنة الأولى من دراسته بالرسالة المغلفة جيدا ، موضوعة في أحد كتبه ، وراح يفتحها وهو يتصور أنها أسلوب من أساليب الفتيات العاشقات أو المغرمات من أول نظرة ، وفوجئ أكثر وهو يقرأها

بتمعن :

إنها من داريا ، إلى ابن داريا المخلص تطلب منك أن تحمل السلاح
لأجل أن تحررها من مغتصبيها الجدد ؛ الصهاينة الذين تجاوزوا كل فضيلة
وعاثوا في الأرض مخربين ، وإن النصر أت أت لا محالة ..
وبعد كلام يثير كل ذرة من مشاعره قرأ العبارة التالية :

«إذا كنت موافقا على الانتماء للتنظيم ، وليس لدينا أي شك في
موافقتك ، لأن واجب الوطن فوق كل واجب ، فعليك أن تحضر الساعة
الخامسة بعد العصر إلى المدرج الأثري العام ، وحينها سأعرفك أنا ، ولن
تعرفني أنت بكل تأكيد ، وكلمة السر بيننا سأقولها لك : «الرسالة» ، وما
عليك سوى أن تمد يدك لأصافحك .»

عرفوا من التركي الأنطاكي أنه جاء إلى البلد بجواز سفر مزور ، وأنه
مكث ستة أشهر يعمل بطريقة نظامية مزورة ، وعندما قرر أن يعود إلى
أنطاكية أمسكوا به وحجزوه في الشرطة ثلاثة أيام ، ثم أحضروه إلى هنا
فجأة .

كانهم لم يصدقوا حكايته ، فالجنة التي أمامهم بهذه الصورة لا
يوجد فيها رائحة السياسة ، وهم الذين تدربوا على أن يشموها من بعيد ،
فكيف والأمر يتعلق برائحة مزيفة امتلأت بها رثاتهم ، لذلك اتفقوا من
خلال بعض إشارات العيون على أن الولد (حيث عمره ١٧ سنة كما قال
لهم) هو بكل تأكيد عين من عيونهم ، وازداد يقيهم بذلك لأنه خرج من
عندهم بعد يومين من قدومه ، وكان خروجه مثيرا لمناقشة هامسة بينهم
كما تعودوا ، يضاف إلى ذلك أنه ترك صراعا بينهم وبين القمل الذي
خلفه .

امتلأت شعورهم وملابسهم بالقمل العجيب الغريب ، يقضون النهار
ومعظم الليل في التعري والمحاربة والحك والتفتيش في ظل إضاءة معتمة ،
وفي ظل توصيات صلاح الذي راح يشير بحكمة هذه المرة إلى أن القمل

من الأشياء التي حارب بها الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه ، وأنه يتوجب عليهم هنا أن يكونوا بقدر المسؤولية في محاربته ، وإلا حل عليهم الجرب بحكته التي سمع عنها من صديقه الذي سجن قبل عامين في السجن المدني لمدة ثلاثة أيام بأمر من المحافظ لاتهامه بإقامة علاقة عاطفية مع إحدى البنات المجاورات بدون إذن وليها ، وكان من سوء حظه أن السجن في ذلك الوقت الصيفي الحار كان تحت طائلة هجمة الجرب الشرسة ، وحينها أصبحت أرجله بشكل خاص مدمية من الحكة والحبوب المتقيحة ..

لقد اعتادوا في الزنزانة على الزوار الذين يحضرون لفترات قصيرة ويخرجون ، وهم هم ، وما يحمد لغربتهم في الزنزانة أنهم ما زالوا معا ، وهنا قدروا «إنسانية» موقف إدارة التحقيق المحترم لمكنهم لم يفهموا لماذا قررت الإدارة أن يبقوا الثلاثة معا!!

كأنها الإدارة أدركت ضرورة المحافظة على العلاقة الودية بينهم ، فراغت المشاعر والألفة .. رغم أنهم مرارا وتكرارا حاولوا أن يتهامسوا حول البحث عن السبب الذي جعل الإدارة تقف منهم هذا الموقف المشاعري الغريب .

عندما التقى زيد العامر بالمدرج الأثري بذلك الوجه الغريب الذي أعلن له مباشرة كلمة «الرسالة» مد زيد العامر بتلقائية سريعة يده مسلما ، وجلسا في ركن منزو أخذ فيه الآخر يراقب ما حوله من أشخاص ، ثم هو يحكي وزيد العامر يستمع كطفل وديع ..

يحكي عن الواجب ، والأمل ، والواقع ، والطريق بما يفضي إلى خبرة لم يألّفها المنكمش شيئا فشيئا حتى ظن نفسه أنه عاش حياته الماضية أكذوبة ، وأن ولادته ما تحققت إلا في هذه اللحظة ..

ومنذ الجلسة الأولى وضع زيد العامر في دائرة المسؤولية ، فراح يفكر وهو عائد بشخصية مختلفة إلى البيت بالطريقة المثالية التي سيقنع بها

صاحبيه في الانتماء إلى التنظيم الجديد . فالكلام الذي قاله له المسؤول الذي التقى به هذا اليوم لقاء مريحا حفل بكلام مقنع :

«هذا اللقاء فقط هو الوحيد الذي سيكون بيني وبينك هنا ، لأننا في الاجتماع الثاني الأسبوع القادم في نفس هذا اليوم ، وفي الوقت نفسه سنركب معا سيارة النقل المتوجهة إلى المدينة القريبة ، لكن عليك ألا تأتي وحدك تلك المرة ، إذ يجب أن تحضر معك صديقك حسن وصلاح ، فالأخ الذي كتب لك الرسالة وهو بالمناسبة يدرس معك في الجامعة ، اختارك أنت من دونهم ؛ لأنك كما قال لي : أفضل من صديقك في تحمل المسؤولية ، يضاف إلى ذلك أن تأثيرك عليهما كبير ، وأنتم الثلاثة بينكم ود وألفة ، وأيضا أبناء بلد واحدة ، ومدرسة واحدة ، وفي سن واحدة كما عرفت منه ، فأنتم بذلك خلية جاهزة بالفطرة لمثل هذه المهمات الجليلة ، ولا تحتاجون سوى للتوجيه والتدريب من أجل تحرير داريا الوطن الذي كلنا فداء له ، وأنت يا بطل ستوضع منذ البداية كما تلاحظ في المهمة الصعبة التي ليس لدي شك في أنك قدها وقدود ، وسوف تحضر زميليك معك المرة القادمة» .

ماذا بإمكانهما أن يقولوا ، ثم هل أنا شخصا مقتنع ، من المستحيل أن أحمل السلاح ، كيف أحمله والدجاجة عندما كانت تذبح أمامي لا أكل من لحمها ، ولكن اليهود يذبحون ويسلخون . !!

هل اغتربت للدراسة أم للدخول في متاهات لا طائل من ورائها سوى الفشل في الدراسة أو الموت أو السجن . . لكن من الصعب أن تكون خائنا لوطنك . . يجب الانتماء مهما كان الثمن غاليا . .

«فإذا لم تضح أنت وأنا فمن تراه يضحي . . العرب!! أعوذ بالله !! فأنت تعرف أنهم لن يضحوا من أجلنا ، لأنهم يقاثلوننا مع إسرائيل . . الإنسانية لا تأخذ منها غير الكلام المعسول!! هل نقعد في بيوتنا ونأكل مثل الحيوانات ونشرب ونتغوط . . كارثة ستحل علينا !! واليهود مهما

حاولنا أن نستسلم لهم فلن يتركونا في حالنا . فإذا لم تكن حوتا أكلتك الحيتان!! أنا لا أقول لك اترك دراستك وتوجه إلى الجبهة الآن ، أنا أقول لك : حافظ على دراستك ، وتدرّب في التنظيم ، وعندما تعود في زيارة إلى الأهل هناك في البلد يمكن أن تعطى مهمات تنفيذية بسيطة في البداية ، وقد تعطى المهمة الكبرى بعد التخرج من الجامعة . نحن في التنظيم يهمننا كثيرا أن ينجح الفرد منا في حياته العلمية والاجتماعية ليكون ناجحا في حياته الوطنية ، وأنت كطالب عليك أن تخط طريقك إلى المستقبل المشرق ، لكن عليك أن تبقى في أيد أمينة تحاول أن تحميك من الهجمة المتقصدة لكل داري أينما وجد . . وهذه اليد الأمينة هي التنظيم!!» .

الكلمات ترن وترن وترن وترن . . العقل الصغير يتفتح لأول مرة على بطولات كان يسمع عنها ولا يراها ، كان يتمثلها مع زملائه في مظاهرات عابثة وفي تمثيلات ساخرة ، لكن الأمر يختلف الآن . . إنه الواقع الذي يواجهك يا زيد كجدار أصم تغيب عنه كل سيقان الطفولة المتلاعب بالطين والعواطف . .

كنا عندما نقرر الغياب عن المدرسة نقوم بإضراب عام ، وأول ما نقوم به هو أن نتوجه إلى مدرسة البنات لنخرج الطالبات ، وحينها نستعرض عضلاتنا في ضرورة إيقاف الدراسة بمناسبة كذا ومناسبة كذا ومناسبة كذا ، وتبدأ المغازلات بالعيون ، ولا وجود إطلاقا لمخاطر الموت أو السجن أو الخوف . .

إن الأمر الآن يحتاج إلى التفكير . . قد يعترضبان ، وخاصة صلاح الذي لم يكن يفضل المشاركة في أية مظاهرة بشكل جاد فيما مضى . . دخل البيت مهموما منتثرا من كل الجهات ، وجدهما يشربان القهوة التركية ، ويشعلان التبغ ، حيث الثلاثة دخنوا معا بشكل جاد في الصف الثالث المتوسط .

قال حسن لزيد : هل بدأت مغامراتك العاطفية من ورائنا؟!
ومن غير وعي منه قال زيد : بل قل المغامرات السياسية ، وما أنا
سوى الرسول الذي اختاروني لأوصلكم الرسالة . وهنا تفحص الأثر في
وجهيهما ، فوجد اللامبالاة على وجه صلاح ، وشيئا من الحسد الذي
تعود عليه في وجه حسن !!

قال زيد : الانتماء إلى تنظيم داري ، لتحرير داريا العربية من النهر إلى
النهر ..

وحينها علق حسن بجدية : يبدو أننا كنا مترصدين منذ قدومنا إلى
الجامعة .

أردف صلاح متشككا كعادته : يحاولون دائما كما سمعت أن
ينظموا كل داري ، لأنهم يأخذون على كل رأس مبلغا من المال حتى
أصبحوا أثرياء ..

لم يتمالك زيد العاثر نفسه للحظات وهو يتصادم مع غباء تحمسه ، إذ
كيف غابت عنه هذه الأقاويل !! إنه كان من الضروري أن يتنبه إلى هذه
الفكرة التي قالها صلاح قبل أن يتوجه إلى اللقاء مع ذلك الغريب ، لكن
الخطاب أثر عليه كثيرا ، ولم يترك له مجالا للتفكير خارج دائرة الثورة
الحتمية !! .

- اسمعا ، الرجل الذي قابلته كان جادا ونزيها ، وأنتم تعرفان أن
الانتماء بالنسبة لنا ككادحين ضروري للغاية ، ما نطمح إليه هو أن نكون
ثوريين ، والثوري لا بد أن ينتمي ، ومن خلال هذا الانتماء يمكن أن نغير ،
حيث يمكن أن نصل إلى المراتب العليا ، لكن علينا أن نبقي يدا واحدة ،
فالحياء تجربة ، يضاف إلى ذلك أنه لا يجوز إطلاقا أن نتوقف عن الهدف
الرئيسي الذي جئنا من أجله إلى هنا هو الدراسة . وقد أخبركم مرارا أن
زميلتنا في الجامعة «سمراء» عرضت علي وعليكما أيضا أن ننتمي إلى
اتحاد الطلبة الشيوعي السري ، الذي لا علاقة له مباشرة بداريا ، وأنا

رفضت ، رغم تحبيذك يا حسن بالذات للفكرة ، وحينها قلت لكما لا نريد أن نخرب على دراستنا بأمور فارغة ، كما أن الطلب الذي طلب منا تعبئته ووضع صورنا عليه سيذهب بكل تأكيد إلى الأمن من تحت لتحت للموافقة عليه كما قلت لكم في سبيل تجنيدنا لصالح سلك العملاء .. أما في التنظيم فأنت لا تعرف الآخرين إلا باسم سري أو اسم حركي ولا تكتب شيئا ولا توقع إطلاقا .

- أعطوك ، اسم سري .

- نعم

- ما هو ؟

- إذا وافقتم على الانتماء إلى التنظيم أقوله لكم !!
قال حسن : أنا موافق ، على أن اختار اسمي الحركي بنفسني !!

- وأنت يا صلاح : لن أبقى معزولا عنكما !!

- أنا اسمي الحركي «جيفارا»

- أنا سأكون «لينين الداري»

- وأنت يا صلاح .

- أي اسم .

- أنا اقترح أن يكون اسمك «أبو ذر» .

- موافق .

لم تكن مفاجأة لهم حضور الرجل الطويل القامة ، الملتحي بلحية طويلة ، وقد راح يحدثهم في الزنزانة منذ البداية عن تجارب عديدة قضها في السجون رافضا أن يعلن براءته من حزب التحرير واستنكاره له ، وذلك لأنهم كانوا يعرفون أن حملة الاعتقالات في الشهرين الماضيين تقصدت تنظيمهم ، وأيضا جماعة حزب التحرير .

وقد ألح لهم صديقهم الذي خرج من السجن بالواسطة إلى أن هناك مؤامرة من قيادة ثورة داريا مع هذه الدولة المجاورة على ضرورة تصفية

الساحة من المعارضة ، وخاصة من حزب التحرير الذي ما زال يدعي أنه كاد أن يستولي على الحكم في الدولة المجاورة ، و يقيم الخلافة الإسلامية لولا خيانة الثورة الدارية التي كشفت تنظيمهم ، وما دامت الثورة قد قررت أن تخوض غمار السلام مع العدو فيجب الضرب بيد من حديد على رؤوس التحرير الذين لم يعد لهم «شغلة» سوى الحديث عن فضائح الثورة الدارية ..

ونحن كما نعرفون بعد الانشقاق الكبير الذي حدث في الثورة أصبحنا من المعارضة ، ويقال إن أحد المسؤولين في الثورة حضر قبل شهرين وسلم كل الأسماء في تنظيمنا للجهاز الأمني ..

قال الشيخ وهو من أعضاء اللجنة المركزية في حزب التحرير : «العيب ليس فيكم ، فأنتم شرفاء وسذج ، العيب الكبير في قياداتكم !!»

رد عليه حسن : لكنكم أنتم يا شيخ تفضلون حمل السلم بالعرض !!

- نحن نفهم ما نريد ، وأنتم ما زلتم تجهلون ما تريدون !!

قال زيد العامر قاطعا الحديث غير الودي : «القرد في عين أمه غزال» ، رجاء اتركونا من النقاش السياسي الذي لن نصل فيه إلى نتيجة !!

قال الشيخ مازحا هذه المرة : حسن عرفنا أنه شيوعي ولا يصلي ، وصلاح عرفنا أنه ختم القرآن مرتين ويحرص على الصلاة .. أما أنت يا زيد «فاعمل نفسك قياديا» ، وتقرأ القرآن ، وتصلي أحيانا ، لكن الغريب في صلاتك أنك تصلي في قاع الزنزانة ، ليس مثل صلاح الذي يذهب إلى الوساع عند العتبة .

- مزاج .

- في ظني أنك خائف أن يراك الشيوعي زميلكم في الجامعة الموجود في الزنزانة المراقبة !!

ضحك صلاح بصوت مرتفع ، وظهر الارتياح على وجه حسن ..
توقف الغناء فجأة في غرفة الحراسة المجاورة ، وأعلنت دندنة الساعة

قدوم نشرة الأخبار . .

ران الصمت على أنفاسنا ووجوهنا . .

قال المذيع : أيها السيدات والسادة إليكم نشرة الأخبار الثالثة لهذا
اليوم ، نبدأها بالموجز :

قررت أمريكا بالتعاون مع إسرائيل . . ثم غاب الصوت!

(٨)

التعذيب

في يومي الاثنين والخميس تعود ضيوف الزنازين ، عفوا : أعني المعتقلين ، على حضور المحققين للتحقيق ، حيث تفتح الملفات ، وتفتح معظم أبواب الزنازين بعد الساعة مساء ، وحينها يقفل المذياع ، ولا يبقى سوى صوت الصراخ القادم من الغرف شبه المعتمة ، أصوات متنوعة تصرخ وتتأوه طالبة الرحمة .. وقد قيل إن الأمر لا يخلو أحيانا عندهم من ضرورة تشغيل مسجل ما على مثل هذه الأصوات ليكون فاتحة إرهابية لبداية تحقيق يبدأ بالتهديد وينتهي بالترغيب فالمسألة حساسية :

« أظنك سمعت قبل قليل صوت المعتقل الذي خرج مغمى عليه من طور التعذيب ، علما بأنه قال نصف الاعتراف في المرة الماضية ، وسيقله كاملا بدون تنقيص في المرة القادمة ، لأن ما رآه هذه المرة يشيب شعر الرأس ، وأنت يا شاطر لن تكون أشطر منه مهما حاولت أن تخبيج

المعلومات التي لديك ، لذلك من الأفضل أن تأخذ الحبال من قصيرها وتكتب ما عندك بالتفصيل الممل ، حتى ترتاح ، وتريحنا ، وإلا سيكون مصيرك مثل مصيره ، ومع ذلك ستقول الحقيقة كاملة في النهاية . البلد بالنسبة لنا ليست خمسة ملايين ، بل خمسة آلاف ، ونحن عشرة آلاف ، كل اثنين منا يتابعون واحدا ، يعني بالعربي الفصيح اثنين إلى واحد ، والواحد مهما حاول أن يكون شاطرا ، فلن يكون أشطر من الاثنين ، وعدا عن ذلك يا صاح ، فأنت الخسران الوحيد ، لأنك هنا بين أيدينا وضعت نفسك في القرف ، والعفن ، والوساخة ، وقائدك الموقر يعيش في بيروت أو في غيرها في فيلا مليئة بالنساء والخمر والثروة والجاه ، وأنت هنا تعتقد عن غباء أنه من أشرف الناس ، أنت واحد مسكين لا تعرف شيئا أسألني أنا . . أنا لما كنت في سنك كنت وطني شعارات أكبر منك ألف مرة ، لكنني قبل أن يضحكوا علي عرفت كيف أضحك عليهم ، عرفت أن الوطنية تنبع من مكتبي هذا ، تنبع من هذا الكرسي الذي يجب عليك أن تسعى إليه لا أن يسعى إليك . . وتفكر نفسك صاحب مبدأ عندما بعث إليك الشباب من هنا بسيارة مدنية فخمة إلى بيتك قبل الفجر لينصحوك في السر أن تبقى في التنظيم الذي انتميت إليه ، وأن تحصل فوق التنظيم على كرسي مثل هذا الكرسي ، وتحصل على راتب منتظم ، وعلى وظيفة واجهة محترمة مثل مذيع في التلفزيون ، وأن تتحرك بحريتك الكاملة في البلد ، وقد تصبح في المستقبل عضوا في مجلس الشعب أو وزيرا في الوزارة ، أو مسؤولا في الإدارة . ولأنك غبي تصرخ في وجوههم قائلا « مثلي لا يخون الوطن ، فأنا لست منكم ، وأنتم لستم مثلي ، أنا الشرف ، وأنتم الخيانة » ، وفوق ذلك تدعي أنك لست منتظما . . لما ضربوك الكف الأول كان من حقهم أن يفعلوا ذلك في واحد غبي مخدوع كادح مثلك وأكثر لأنك لست ابن عيشة ، ولك إحنا لما نعلن في السر عن حاجتنا لعشرة محققين يتقدم لنا عشرة آلاف . . فرصة جاءت عندك لماذا ترفضها

مثل الحمار برجليك . . هل تعتقد أنك الوحيد الذي سيدخل الجنة دون بقية الناس . . عجيب أمرك !! يجب أن تفهم ما دمت بهذه العقلية الوسخة أنك لن تحظى لا بجنة دنيا ولا بجنة آخرة . . الآن من الممكن أن أدخلك الطور للتعذيب لترى الجحيم في الدنيا بعينيك ، وببساطة قد تموت فيها . . طز طزين ثلاثة . . وبعد أن تموت إلى أين ستذهب يا حبيبي . . طبعاً إلى النار!! واحد يساري مثلك لا يعرف ربه ، ولا يصلي أبسط الأشياء التي تفرق بين المسلم والكافر ، هل تعتقد بعد ذلك كله أن الله سيذهب بك؟! إلى الجنة ، أنت الخاسر الوحيد في الدنيا وفي الآخرة!! . . على الأقل قائدك الموقر يغنم الدنيا . . وأنت حضرتك لا دنيا ولا آخرة ، وفوق هذا لست وحدك من يخسر ، فأهلك الذين يصرفون عليك دم قلوبهم المعجون بالمعاناة ، سيخسرون أكثر منك بكثير لأن خسارتهم جماعية ، وأنت خسارتك فردية ، واحد غيري من المحققين لما يحضرك هنا ، من الممكن أن يفتح باباً للتحقيق مع أفراد أسرتك ، هكذا حتى يقول لهم أنتم لم تربوا ابنكم ، فعلياً أن نريه ونربيكم ، وحينها ماذا تستفيد وماذا يستفيد أهلك عندما تصبح ملفاتكم سوداء تشير إلى مواطنين غير صالحين؟! . . واحد مثلي لا يخسر شيئاً . . راتبى بعلاواته ماشي على خير ما يرام سواء أعترفت أم لم تعترف ، عدا عن ذلك فإن ترقيتي ليست فيما أبذل في التحقيق ، لأنها ترقية على خدمة السنوات . لكن في حال اعترافك صدقني سأتدبر أمر خروجك من هنا مثل خروج الشعرة من العجين ، وطز فيك لا أريدك أن تتعامل معنا ، لأنك لا تقدر حرصنا عليك ، وحرصنا على مصالحك . فإذا كان صاحب المصلحة غير حريص عليها ، فكيف تريد مني أنا أن أحرص عليه ، وصدقني أقل حكم في قضيتك في حال عدم اعترافك هو ثلاث إلى خمس سنوات . . أنا لا أريدك أن تكون غيباً مثل بعضهم وتجعل من نفسك « أبو الشرف الكذاب » . . إذا اعترفت الآن منذ البداية ، فسوف تخرج من الزنزانة

المعفنة هنا وأنت ابن ناس ، ابن عشيرة ، نحن نحرص على هذه الأشياء !!
أما إذا اعترفت بعد عشرين يوما مثلا عندما نهين كرامتك ونمسح بها وبك
الأرض ، ونريك الجني الأزرق ، والجحيم في الدنيا ، فصدقني حينها لن
أضمن لك الإفراج ، ولا بد حينها من التحويل إلى السجن في قضية قد
يحكم فيها عليك على أقل تقدير عشر سنوات ، تعيش في السجن المعفن
عشر سنوات بعدها يوما بيوم ، وقائدك هناك يأخذ على رأسك الفلوس
وينام فيها مع العاهرات وتقول لي بعد ذلك الوطنية ، روح شوف الذين لم
يفهموها من البداية بالطريق الصحيح كيف أصبحوا الآن لا شغل لهم إلا
متى يجيء العفو عنهم في مناسبة ما ، وقد طفقوا للثورة بعد أن طقعت
لهم ، ويا ليت أمورهم توقفت عند هذا الحد ، بل إن أولادهم أصبحوا
يشحدون في الشوارع ، وبعضهم دخلوا سجن الأحداث ، وليس هناك من
يسأل عنهم . . اسألني أنا . . أنا من يعرف ظروف البلد ، وظروف خارجها ؛
كل صغيرة وكل كبيرة . . وصدقني إن قائدك نفسه ممكن أن يكون متعاملا
مع الموساد ، لا أريد أن أقول لك عندي وثائق رسمية تثبت ما
أقول . . ونحن كما تعرف نعدم ونؤبد كل من يتعامل مع الموساد ما دام
يحمل جوازنا . . ما طلبه الإخوان منك لما كرموك في مجيئهم إلى البيت ،
لا يعني أكثر من أن تبقى في تنظيمك لتترقى فيه وبجهودك الخاصة على
راحتك ، بل سندعمك في ذلك ونحفظ لك الكرسي عندنا ، نحن لا
سمح الله ما طلبنا منك أن تصبح عميلا للموساد أو لدولة أجنبية . . أنت
واحد منا وفينا . . لكن طيشك لا يجعلك تقدر أين المكان الذي يجب
عليك أن تضع فيه ثقتك وتوجد فيه مصلحتك . . وببساطة شديدة أقولها
لك عليك أن تفكر جيدا ، والطريق الذي ستختاره نحن معك فيه ، أنت
حر في تفكيرك ونحن أحرار في تصرفاتنا . هذه الأوراق عندك ، وهذه
الأقلام ؛ واحد اثنان ثلاثة ، وسأخرج الآن لأن عندي حفلة عيد ميلاد ،
وسأطلب منهم أن يحضروا لك القهوة في فنجان نظيف ، وسجائر فاخرة ،

تشرب القهوة على راحتك ، وتدخن السجاير على راحتك ، وتفكر على راحتك ، وسأطلب من الضابط المناوب أن يسألك بعد نصف ساعة من خروجي عن أي شيء تريده ، فإذا قررت ألا تكتب فقل له : « أريد العودة إلى الزنزانة » .. وإذا كنت تكتب فقل له شكرا ، أو اطلب قهوة ، شايا ، عصيرا ، أكلا ، حلوا ، أي شيء تريده .. وعندما تنتهي من كتابة مذكراتك أو اعترافاتك ادعس الزر هذا ، واترك الأوراق مكانها وقل لمن يحضر عندك أريد العودة إلى الزنزانة ، وغدا صباحا أرتب أمر خروجك من عندنا إلى الهواء الطلق مع بوسة لحية .. يله تصبح على خير .»

في ليلتي يومي الاثنين والخميس يقدمون العشاء عدسا ، ومن العدس أصبح السجناء يعرفون أن الليلة الواحدة ليلة معدسة ، يعني ليلة تحقيق ، وإذا فوجئنا في يوم ما من هذين اليومين بقدوم البطاطا أو البيض بدلا من العدس ، فهذا يعني أن الليلة ليست معدسة ، فلا يحدث فيها تحقيق .. وإذا حدث أن جاء محقق ما للتحقيق في غير هذين اليومين ، فغالبا ما يوصف هذا الطارئ من قبل المساجين على وجهه يكون فيه المحقق قد تشاكل مع زوجته في البيت ، فجاء «يفش غله» في الزنازين .. أو أنه جاء بناء على أمر من فوق للتحقيق في قضية بحاجة إلى حسم عاجل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا فلان الفلاني أقر وأعترف بأنني انتميت بتاريخة

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....

نظر الشيخ في وجوهنا نظرة سريعة لم تمنعه من متابعة الحديث!!

- اللهم اجعله خيرا ، أكمل .

- المهم أن الكلام الذي يقوله الآخرون كنت أفهمه كلمة كلمة ، لكن الكلام الذي قلته أنا ، وهو كبير في خطبة عصماء ، كأنه شعارات ، لم أفهم أنا شخصا منه أية كلمة ، كأني كنت أتحدث بلغة غير اللغتين العربية أو الإنجليزية ، لماذا لم أفهم لغتي ؟! هذا الأمر الذي حيرني طيلة الليل بعد أن قمت من نومي .

- الحلم كان في أول الليل أم في آخره .

- يهيا لي أنه كان قبيل الفجر بساعة تقريبا .

- قل ، اللهم اجعله خيرا .

- اللهم اجعله خيرا !!

في كل صباح لا بد وأن يقول واحد منا أو أكثر أنه رأى حلما أو رؤيا ، وما نراه في الليل يصبح فضاء نستطيع من خلاله تصور ما يجيء به المستقبل ، إذ لا يمكن لمعتقل أن يعيش بعيدا عن الأحلام والرؤى ، وما أن ندخل في دائرة الرؤى والأحلام ، حتى نتذكر قصة سيدنا يوسف مع صاحبيه في السجن ، وإذا كانت الأحلام والرؤى مزعجة أو غير خيرة فإننا كنا نحرص على أن نخفيها ، ونتفل ثلاثا كما علمنا الشيخ على الجهة اليسرى ، ونقول اللهم اجعله خيرا ..

إلا أن «حسن» من دوننا كان يحرص على أن يقول كل أحلامه ، ولا يتفل على اليسار ، حيث كان يلومنا إذا تفلنا على هذه الجهة ، وخاصة زيد العامر ، قائلا له : « أنا والله أشك في يساريتك من رجلها إلى شوشتها ، أنت يساري ، وتصر على أن تبصق في وجه اليسار كلما حلمت ، موقفك هذا يجعلك تغرق لشوشتك في اليمين الرجعي ، ما هذا التناقض العجيب ؟! » .

ولا يلبث صلاح هذه المرة أن يتدخل لتبرير ما يمارسه زيد العامر ، مؤكدا

من وجهة نظره أن اليسار الذي يتفل في وجهه زيد العامر ما هو سوى الشياطين التي تلعب بعقولنا بعد النوم من خلال الأحلام المزعجة . ومع ذلك بقي حسن مصرا على أن يحكي أحلامه غير الخيرة ، وما أن يسمع الشيخ بعض أحلامه المزعجة ، حتى يردد على مسمعه ، ودون أن ينظر إليه « اللهم لا تؤاخذنا بما يفعل السفهاء منا ، وأن ترحمنا يا أرحم الراحمين » .

- بالك يا شيخ ما رأيك في الرؤيا التي قصصتها عليك .

- قل : اللهم اجعله خيرا . واسكت ، وادع الله بالخير .

- اللهم اجعله خيرا ، ولكني أريد منك أن تخبرني هذه المرة صراحة

بلغتي التي لم أفهمها .

- اسمع يا بني ، أنت تسير في طريق ليست طريقك ، واللغة التي

تحدث بها ليست لغتك ، وإنه من الواجب عليك أن تعيد التفكير

بماضيك الذي لا يعدو أن يكون صورة من صور الشعارات البراقة ، وحتى

تكلم بلغتك العربية المفهومة لغة القرآن الكريم يجب عليك أن تترك ما

أنت عليه ، وعليك بالتالي أن تبحث عن الطريق الصحيح .

وما أن انتهى الشيخ من كلامه عن اللغة ، حتى عدل حسن من

جلسته ، وقال هامسا :

« لم يبق إلا أن يقول لك الشيخ «المحترم !!» اترك التنظيم ، وانتم إلى

حزب التحرير ، وهذه المهمة من وجهة نظره آخرة اليسار للضعفاء مثلك » .

تدخل صلاح بجدية عنيفة ، وقال بصوت أكثر ارتفاعا من همس

حسن ، وكأنه يريد بذلك أن يسمع إدارة المعتقل كل كلمة يقولها « طز

فيك وفي التنظيم ، وفي الذين خلفوكم من اليساريين واليمينيين !! ماذا

عمل لنا التنظيم غير البهذلة ، وقلة القيمة !! سنوات ، وأنا أدفع كل شهر

نصف ليرة اشتراك ، يعني ستة دنانير في السنة ، ولم يقل تنظيمك

الخاب مع العوز الذي كنا نعيشه ، خذوا هذه نصف ليرة ، يمكن أن

تنفعكم ، هذا عدا عن الوقت الذي ضيعناه هباء منثورا ، وعدا عن البهذلة

وقلة القيمة التي نحن فيها ، والله أعلم ماذا سيحمل لنا المستقبل من مصائب أخرى ، فإذا نجونا من هنا ، فإننا سنسجن هناك ، وحينها ستعرفون كيف يعاملنا الصهاينة ، وقيادتكم المبجلة بدأت الآن ، بعد أن خرجت من بيروت ، تقول عن كل القيادات الأخرى عميلة ، والقيادات الأخرى بفصائلها يقولون عنا عملاء ، وعملاء لمن ؟! لبعض الأنظمة العربية !! والله جاء الزمن الذي أصبحنا فيه مهزلة ، وتريدنا بعد العذاب الذي نعيشه هنا أن نخرج ، ونصفق للتنظيم المحروق ، أنا شخصيا بمجرد أن يستدعوني إلى التحقيق سأقول لهم كل ما عندي ، وأقول لهم : هاتوا ، يا عمي ، أوراقتكم حتى أكتب إفادتي ، وأعلن ندمي ، ووطز في التنظيم وفي الذين صنعوه ، وكان يوما أسود اليوم الذي وافقت فيه على الانتماء إلى الخرا . »

قال حسن لصلاح في سخرية شديدة : أكيد حضرتك تأثرت بكلام الشيخ ، وقررت الانتماء إلى حزب التحرير .

- لا حزب التحرير ولا حزب غيره ، سأنتمي إذا خرجت من هذه الورطة إلى دراستي ، ولا شيء غيرها .

- ولكنك أصبحت تتعاطف مع الشيخ إلى حد الجنون .

الشيخ شبع من عمره ، أما أنا فعمري في أوله ، وعندي مسؤوليات إعالة أخوتي فأنا الكبير فيهم ، وها هو الأمل الذي وضعوه على رقبتني يكاد يطير ، وتريدونني بعد هذه الحال أن أضيعه في كلام فارغ . أنا وافقت على الدخول معكم في التنظيم ، وكل فكري أن المسألة حركة طلابية وتنتهي مع نهاية الدراسة ، لكن أن تنقلب إلى جد وسجن وبهذلة فهذا الشيء الذي لم أتوقعه ولا أريد أن أراه !! .

قال الشيخ : صلّوا على النبي يا جماعة ، واتركوا النقاش الآن في مثل هذه المسائل ، والتوبة أجدر عندما يعرف الإنسان أنه أخطأ ، وما دمت يا صلاح ، كما تقول ، عندك مسؤوليات تجاه أهلك ، فكان عليك يا بني منذ البداية أن تقدر ظروف أهلك وظروفك وأن تراعي هذه المسؤوليات

قبل أن تورط نفسك في طريق لا أجر فيها ولا ثواب . وأنت وما شاء الله
عندك خير كثير في أخلاقك .

قاطع زيد العامر كلام الشيخ ، قائلا : « ولكن يا شيخ لم تخبرني عن
الشخص الذي جلسنا نحاكمه في المحكمة . »

- تفسير بقية حلمك أو رؤيتك ، والله أعلم ، أنني سأخرج من
عندكم ، وسيأتي بدلا مني شخص آخر غير مريح .

وهنا تدخل حسن ساخرا :

- قصدك أن تتبدل غزلانها بقرودها !!

- لا غزلان ولا قروود ، كل الناس الطيبين ، إن شاء الله ، خير وبركة .

- طيب كيف عرفت أنك ستخرج من هنا !!

ضحك الشيخ في وجه زيد العامر ، وقال معقبا على سؤال حسن
الاستفزازي المقتنع بالسخرية .

- في الليلة الماضية ، رأيت رؤيا ، كنت فيها أحزم أمتعتي استعدادا
للسفر .

- إفراج إن شاء الله !!

- الله يفرج عنك كربة من كرب الدنيا ، ولكن أنا أعرف مصيري ،

السجن ثلاث سنوات ، وربما خمس !!

- إفراج إن شاء الله !!

بعد نصف ساعة توقف الحارس على باب الزنزانة ، وفي يده ورقة
طويلة ، وقال :

مين ياسين يوسف الخلف .

- أنا .

جهز نفسك ، ستذهب بعد نصف ساعة إلى المحكمة ، وخذ كل
أغراضك معك ، واطلب أماناتك إن كان عندك أمانات في الإدارة .

- ساعتني ، وفلوس .

- كم قيمة الفلوس .
 - حوالي خمسين ليرة .
 - سيجهزونها لك وتأخذها معك ، عندما تخرج .
- بعد ساعة خرج الشيخ ، وبدأنا ننتظر القادم الجديد الذي سيحل علينا بين الفينة أو أختها ، وبدأنا نتقول حول إمكانية التنظيم الآخر الجديد الذي سيحل مكان حزب التحرير عندما ينتقلون من هنا إلى السجن الكبير . وشغلنا مصيرنا الذي خفف من هول السجن فيه صاحبنا الذي خرج من هنا بعد أن وقع على اعترافه كما ادعى . كما أن الشيخ طمأننا على اعتبار أن قضيتنا سياسية لاعسكرية ، وغالبا ما تكون نهاية القضايا السياسية بعد الاعتراف التوقيع على خطاب استنكار التنظيم أو الحزب ، والتعهد بعدم ممارسة أي نشاط يخل بأنظمة البلد مستقبلا .

(١٠)

المقيم الجديد

بعد خروج الشيخ بساعة تقريبا توقف الحارس عند القفل ، فاعتلى صوت خرخشة مفاتيحه ، يقف بجانبه رجل أطول منه ، له وجه أسمر ، وعينان محمرتان من الإرهاق والتعب على أقل تقدير .

- مرحبا يا شباب .

- أهلا وسهلا .

أقفل الحارس الباب ، وقبل أن يغادر قال بصرامة ، لا أريد أن أسمع أصواتكم ، حتى ولو كانت همسا ، لا تفتحوا لي حوارا مع السجين الجديد .

- اطمئن ، وخذ راحتك في النوم .

أحيانا كثيرة ، يأتي بعض الحراس ، هكذا بدون سبب ويلعنون ويشتمون ، والسبب أن هناك من يخرج أصواتا من قبلنا - كما يدعون -

تتحدى سلطتهم الحريضة على الصمت المطبق ، وكنا فعلا لا نشعر بأية راحة سوى مع ذلك الحارس الطويل القامة ، الذي يمتلك سنا ذهبيا في بداية أسنانه ، وغالبا ما يسير مفكرا ، وقد نلاحظ عليه أنه يبتسم أو يضحك!! وما أن يحضر حتى يصبح هناك مجال للحوار والنقاش والحكي والإشارات بين الزنازين المتواجهة .

مع حضور هذا المقيم الجديد إلى الزنزانة مر الوقت في ظل أكثر الحراس ظلما ولؤما ثقيلا ، وقد كان الهمس أقل من الهمس خاصة وأن خيال هذا الحارس كان ينكشف لنا من غير أن يدري في الجانب الأيسر من خارج زنزانتنا رقم «٦» ، لذلك كنا نحرص قدر الإمكان على أن نحاول النوم في فترة حراسته التي تستمر ست ساعات . وما أن جاء بعده صاحب السن الذهبية حتى بدأت تعود إلينا أنفاسنا التي قيدت بجنازير التخوف من عقاب حارس لئيم ، أبسط ما يمكن أن يعمله عدم إخراج أي معتقل إلى الحمام في لحظة زنقة .

افتتح حسن الحوار مع المقيم الجديد :

- إيش تهمة الأخ الكريم!؟

- الانتماء للثورة!

- أنت داري!

- أمي من داريا .

- المثل يقول « ثلثين الولد لأخواله »

وبدون مقدمات طويلة ، راح المقيم الجديد يتحدث عن نفسه بعد أن عرف أن إمكانية الحديث في ظل الحارس الجديد مفتوحة :

أنا من عائلة العمر ، أعمل في الثورة منذ أربعة عشر عاما ، أي أنني تركت المدرسة بعد أن رسبت في التوجيهي ، والتحقت بالثورة بعد معركة الكرامة ، وخرجت إلى بيروت بعد أيلول ، وكنت أحد الأشخاص الأربعة الذين اقتحموا السفارة الأمريكية في السودان عام ١٩٧٤م ، حيث مكثنا

في مصر من سجن إلى سجن كان آخرها سجن لمدة ثلاث سنوات في فيلا استأجرتها الثورة لنا في مصر الجديدة ، وبعد سبع سنوات أعادونا إلى بيروت ، فشاركنا في المعركة الأخيرة ، وخرجت مع الخارجين إلى اليمن ، وهناك وضعنا في معسكر مثل المعتقلين ، انتقلت بعدها إلى تونس ، فعشنا العجب العجائب!! ولما عرفت أن الثورة انتهت ، طلبت من أهلي أن يدبروا لي عفو ، وفعلوا وصلني العفو قبل أسبوعين ، فحزمت أمتعتي وصك العفو معي ، وفي المطار احترمونني ، وقالوا لي بالحرف الواحد العفو على رؤوسنا ، لكن يجب أن تشرطنا لبعض الوقت ، ومن المطار أحضروني إلى هنا ، وأنا كنت متأكداً من هذا الاعتقال ، لأن أهلي قالوا لي في الرسالة التي صاحبت العفو ، لا تقلق إذا اعتقلوك في المطار ، فالأمر لا يعني أكثر من إجراءات روتينية ، يجب أن يواجهها كل شخص ، يسمح له بالعودة ، خاصة إذا كان هذا الشخص المنتمي إلى الثورة من الذين شاركوا في أحداث أيلول .ويبدو أنهم يريدون مني أن أكتب سيرة حياتي في الثورة .
- وهل ستكتبها لهم (قال حسن) .

- كل الأوراق انكشفت ، وتريد مني أن أخفي أوراقتي؟! أنا المهم عندي الآن ، بعد أن انتهت الثورة بعد الخروج من بيروت فانتهت المقاومة للاحتلال ، أن أعود وأعيش حياتي كما كانت قبل الانتماء ، قد يسجنونني عاما أو عامين ، المهم أنني سأخرج في النهاية ، وأمارس حياتي الطبيعية ، بدل أن أبقى مشردا يذلني الذي يسوى ، والذي لا يسوى . في الفترة الأخيرة بدأنا في تونس نأكل لحوم بعضنا بعضا ، أنت عميل للقائد كذا وأنت عميل للقائد كذا ، وأنت عميل للدولة الفلانية ، وأنت عميل للدولة العلانية ، حتى أنا أصبحوا ينظرون إليّ على أساس أنني عميل لهذه الدولة ، فقلت في نفسي ، إيش بدك يا ولد من هذه البهذلة كلها ، خاصة وأن الراتب الذي يعطى لنا أصبح يتأخر شهرا وشهرين وأربعة ، والحياة في تونس غالية ، والراتب قد لا يكفي للنوم ليلة واحدة مع عاهرة

جميلة كما يقولون ، فأخذتها من قصيرها ، وعدت . . أنا الآن أرى نفسي في الزنزانة وكأني في قصر قياسا إلى الذل الذي واجهته أو يمكن أن أواجهه مستقبلا هناك .

بعد أن سمع زيد العامر كثيرا من المبالغة في كلام العمر قال بامتعاض : « ليس من المعقول يا محترم أن تكون أنت وحدك ملكا ، ويكون الآخرون شياطين ، ويبدو أنك تبالغ ، ليس قصدي أن أنسف كلامك كله ، ولكن كنت أفضل أن أسمع منك كلاماً ما عن ناس بسطاء طبيين مخدوعين مثلك مثلاً يمكن أن تجدهم في أي ثورة تخرج عن مسارها في أية منطقة من هذا العالم » .

- يا حبيبي كل الناس المحترمين في الثورة انسحبوا منها بعد أن انسحبت البنادق إثر الخروج من بيروت ، ومن لم ينسحب في البداية بدأ ينسحب بعد أن شعر أنه في منفى بعيد عن مقاومة الاحتلال . ثم أنا لم أقل لك عن نفسي إنني ملك ، فأني شخص انتمى للثورة وما زال فيها ، وجاء بعدها ليقول لك إنه ملك قل له كذاب ، فكل الذين بقوا في الثورة بعد أن خرجنا من بيروت إما إنهم الناس الذين ما زالوا مستفيدين جاها ومالا ، وإما إنهم أناس لا يستطيعون أن يدبروا واسطة ليعودوا إلى أي بلد عربي ليعيشوا فيه عيشة مختلفة عن ماضيهم ، وبعضهم لديه أمل في أن يخرج إلى فلسطين للانتحار ، وقد سمعتم قبل يومين عن القارب الذي حمل ثمانية وعشرين مقاتلا حاولوا العودة إلى فلسطين من تونس ، فدمرتهم الزوارق الإسرائيلية ، أنا أعرف معظمهم ، فهم كانوا يطالبون القيادة بالعمليات ضد الاحتلال ؛ يطالبون ألا تتوقف الثورة عن هدفها الذي وجدت من أجله ، فجمع القائد كل الذين كانوا يزعجونهم بهذا الكلام عندما يحدث لقاء ما عن الحال الذي وصلنا إليها ، ووضعهم في القارب ، وقال لهم اليوم يومكم ، عليكم أن تعيدوا للثورة هيبتها من خلال أكبر هجوم نضع عليه آمالا كبيرة لإعادة الهيبة للثورة ، ولنثبت للعالم كله أننا

قادرون على المواصلة ، وما أن وصلوا إلى نصف المسافة في البحر حتى دمرتهم الزوارق المعادية ، فجماعتنا كما قالوا في الإعلام كانوا مراقبين منذ اللحظة التي نزلوا فيها إلى البحر ، وقالوا أيضا : إن الثورة أخطأت عندما ضحت بثمانية وعشرين مقاتلا كادرا بلا جدوى ، وأنه كان عليها أن تفكر بطرق سلمية لحل النزاع في الشرق الأوسط ، لأنه لم يعد للسلاح أية مفعولية ، خاصة وأن تونس ليست دولة حدودية . وأنا أقول كانت عملية مدبرة للتخلص من الكوادر النظيفة !!

قال صلاح وقد انتشى للكلام الذي دخل في نخاشيشه فخردها :
والله يا «أبو الشباب» هذه الأخبار جديدة بالنسبة لنا ، من يسمع في هذا الماخور الذي لم تقبل أن تسكن به غلة ؟ . . والصراحة ما ضيعنا وخرب بيتنا إلا انتهازيو ثورتك التي لم تفاجئنا بمثل هذا الحديث الذي تحدثه عنهم ، لأن كثيرا من الناس هنا وهناك ، يقولون الكلام الذي قلته وأكثر ، صحيح أن الثورة في بدايتها كانت شريفة ، وأن الشرفاء الذين يبحثون عن تحرير الوطن سيقون ، ولكن رأس الهرم أصبح فاسدا ، وإذا دب السرطان في الرأس ، فما فائدة الجسم الذي سيصبح مليئا بالأمراض والأوبئة إلى حد الموت . . وأنت شايف العز الذي نحن فيه . . زنزانة متعفنة . .

قال زيد العامر : هذا رأيك أنت يا صلاح ، فلا تستخدم ضمير الجماعة !! كما أن الثورة كانت وما زالت هي الطريق الوحيد لتحرير داريا ، أم تريدوننا أن نستسلم ونسلم كل شيء للاحتلال ونحرر الأرض بالكلام !!؟
- أنا طبعاً أتحدث باسمي . . طز فيكم !!

- احمدا ربكم على هذه الزنزانة ، فهي جنة بالنسبة لما يمكن أن تجدوه أو تتصوروه هناك في الهواء الطلق في تونس ، ترى الواحد منهم محاط بعشر نساء ، وأنت انتهى راتبك ولا تستطيع أن تحصل على ساندويش شاورما ، الأمور هناك لا تطاق ، لا تطاق ! الثورة يا شباب انتهت

بعد الخروج من بيروت ،هذا هو الواقع الذي علينا أن نواجهه الآن!!
كان زيد العامر متشككا من الرجل ، حتى تصوره من رجال التحقيق ؛
جاءهم بهذه الصورة ليعلمهم درسا في شتيمة الثورة ، على طريقة إذا وقع
الجميل كثرت سكاكينه ، ومادامت الثورة قد خرجت من واقع المعركة مع
الاحتلال إلى واقع المنفى ، فالأمر لا يعدو أن يحاول كل شخص يهرب
من الثورة في ظل أزمته الحالية أن يصور حالة هروبه هذه وكأنها بطولة من
نوع ما ، أو كأن الهروب شرف ، أو إراحة للضماير من فشلها المزمع ..
لكن زيد العامر نفسه ، وقد حُسب على المعارضة من خلال تنظيمه
في الثورة كان يكتب البيانات الأخيرة التي شنع فيها على القيادات التي
هربت من الجنوب تاركة الناس البسطاء والمقاتلين الشجعان بلا قيادة توجه
معركتهم الحقيقية مع الاحتلال .. وما أن خرجوا من بيروت حتى وصف
الخروج بأنه بداية المؤامرة الكبرى للتوقيع على بيع داريا للاحتلال ، مقابل
امتيازات لبعض القادة الذين ساهموا من وجهة نظره في خدمة إسرائيل
نفسها أكثر مما خدم بيجن قومه .. كتب تحت عنوان « طاسة وضايعة »
مقالة تهكمية صور فيها القيادة تحمل بالطائرة الإسرائيلية إلى أريحا أو
غزة ، ويقال لها هنا أقيمي في هذه الأرض الملعونة بالنسبة للإسرائيليين ،
وسنقدم لك المأكّل والمشرب في ظل دولة إسرائيل الكبرى ..
حل الصمت عليهم بعد أن أخبرهم صاحب السن الذهبية أن القائد
العام للسجن سيمر لتفقد الأحوال ، راجيا أن يصمتوا ..
مرقائد المعتقل يحمل بيده عصا من الخيزران ، وبصحبتة أربعة
عسكريين وخامس يلبس لباسا مدنيا من أمام نزانتهم
بعد ساعة عادوا إلى سيرتهم الأولى من خلال حسن .
- ولكن نريدك أن تحدثنا عن مغامراتك .
- العسكرية ؟
- العاطفية !!

من يقول لك إنه كان «أبو الشرف» قل له : إنك كذاب ، أنا شخصيا لم أضيع أية فرصة أتيت لي لمضاجعة النساء ، ولم أترك أية فرصة أتيت لي أن أكذب ، ولم أترك أية فرصة أتيت لي أن أكون انتهازيا ولم أكن انتهازيا ، الواقع الذي عشناه يجعل مني ومن غيري أن يعمل كل هذه الأشياء وأكثر منها . . ليستمر في حياته .

الحب الوحيد الذي كان في حياتي كان مع تلك الفتاة التي أحببتها عندما كنت طالبا في المدرسة قبل أن أخرج إلى بيروت ، ولو بقيت هنا لتزوجنا وعشنا مثل الناس ، أكيد الآن هي متزوجة ، وخلفت خمسة أو ستة أولاد . لكنني سأبدأ حياتي من جديد ، وبدايتي ستكون في التوبة إلى الله ، وسأبدأها بصلاة عصر هذا اليوم ، وعندما أخرج ، سأعمل وأتزوج . أهلي قالوا لي في الرسالة التي جاءت مع العفو : عد إلينا وستجد العروس في انتظارك ، أكيد بنت غير البنت التي أحببتها في الماضي . قام صلاح يعلن بداية صلاة العصر ، وقد فرش قميصه على الأرض ، وقال للعمر :

- معك وضوء .

- لا وضوء ولا غيره .

- إذن تيمم ، لأن فرصة الخروج الثانية إلى الحمام ستكون بعد المغرب ، وقد فاتتك فرصة الخروج في الصباح بعد الإفطار . . ثم صل أنت أولا ، فأنت الضيف ، والمساحة المتاحة هنا للصلاة لا تحتمل أكثر من واحد . . علق حسن على الموقف : « وينك يا شيخ ياسين لترى تلميذك صلاح الشاطر ، ماذا يفعل ، الذي عقب ما مات . . أكيد كل الزنازين ستتحول إلى عباد الله الصالحين » .

قال صلاح لحسن : « الله يصلحك . . هذه مجادلتنا لك » !!

أما زيد العامر فكان حينها يغرق في التفكير بلغته التي لم يفهمها

ليلة أمس .

كان العمر فرحا بعودته ، فرحا بتطهير ذاته من بعض ما علق بها . .
إنه يولد من جديد . . لقد صلّى بخشوع عجيب!!

(١١)

الوصف

في لوحة سوداء صغيرة معلقة فوق جبهة الزنزانة نقش الرقم «٦» ، بابها بحجم عرضها الذي هو تقريبا متر ونصف ، وقد سيح هذا الباب بشبك من قضبان حديدية عريضة ، يفتح إلى الخارج ، ويثبت بقفل ضخمة في الجدار الأيمن للزنزانة التي يقابلها جدار أصم ، ولا يرى الخارجون منها إلى الحمام الذي يقع في يمين الجهة اليسرى لكل خارج من الزنزانة سوى قضبان زنازين على جهة اليمين ، يمكن أن ترى من ورائها بعض الأشباح البشرية في ظلال إضاءة خافتة تعم المكان كله .

لم تعد الجدران الداخلية للزنزانة بيضاء ، وإن كانت الأرضية بيضاء عموما في الأصل ، فالحفريات الخطوطية ، وبعض الخطوط للأقلام المهربة جعلت من جدرانها لوحة أثرية لمذكرات يمكن تصور بعضها كتب منذ عهد العثمانيين ، فالأسماء والتواريخ والأشعار ، والذكريات ، والمقولات ،

والنصائح ، والشعارات ، والأحزاب ، والتنظيمات ، وأسماء المحققين ،
واللعنات ، وأشياء كثيرة كثيرة يمكن أن تقرأ أو لا تقرأ ، ويبدو أنه لم يعد
هناك أي مجال لكتابة جديدة ، إلا فوق كتابة قديمة خاصة وأن الأوساخ
الداكنة جعلت من الجدران كأنها مدهونة باللون البني .

لا يزيد طول الزنزانة عن مترين ونصف ، وعرضها عن متر ونصف ،
لتصبح المساحة الكلية على النحو التالي ١,٥ في ٢,٥ = ٣,٧٥ متر
مربع . فيها أربعة أسرة ، اثنان منها أحدهما تحت والآخر فوق مثبتان جهة
الشمال بطريقة عرضية ، طولاهما مساويان لعرض الزنزانة ، والآخران
مثبتان أيضا أحدهما تحت والآخر فوق في طول الزنزانة من جهة الغرب ،
هذا إذا صحت تصوراتي للجهات في الزنزانة ، التصورات التي بنيتها على
طريقة رسم الخرائط كما تعلمتها في المدرسة ، ولم أتنبه إلا بعد خروجي
من تلك الزنزانة إلى أن ما كنت أعتقد الغرب ما هو إلا الجنوب حيث
من المفروض أن تكون صلاتنا تجاه الجنوب ناحية مكة المكرمة ولكنك ما
دمت في تلك الزنزانة اللعينة فإنك ستبقى تتعامل معها لا شعوريا على
مستوى الجهات وكأنها خارطة مرسومة أمامك ، فعليك أن تبحث في
تفاصيلها وتعين مواقعك الجديدة عليها .

أما المساحة الفارغة في الزنزانة التي تفضل بعد مساحة الأسرة ، فهي
تتشكل في حرف (لـ) الذي يصل طوله من الجهتين إلى حوالي ٣,٥ م ،
ونستغل هذا الطول ليمشي كل واحد منا على حدة مدة ساعة يوميا ،
بحيث يكون الآخرون منحشرين في أسرتهن ، والحكمة من المشي كما
يوصي السجناء بعضهم بعضا تكمن في الحرص على عدم تيبس
المفاصل ، حتى لا يخرج المقيم في نهاية المطاف بأمراض في الهيكل
العظمي . . لذلك فعلى كل ماش أن يحرص على تحريك أعضائه ساعة
على الأقل يوميا ، ولا يمنع هذا أن يمارس المشي أحيانا الرقص بطريقة
مضحكة محشورة ليبدو أكثر فاعلية في تليين مفاصله وتعويدها على

مقاومة التيبس . . وقد يدوخ الماشي في المرة الأولى والثانية وحتى العاشرة ، ولكنه بعد ذلك سيتعود على هذه المساحة لأنها الإمكانية الوحيدة المتاحة له للحركة في الشهر الأول من سجنه .

يسمح لك بالخروج إلى المرحاض مرتين يوميا ، هذا إذا لم يكن في الأمر عقاب ، الأولى بعد الإفطار الذي يكون في حدود الساعة السادسة صباحا ، والثانية بعد العشاء الذي يكون في حدود السادسة مساء ، ويجب أن لا يتجاوز الوقت الذي يعطى لأفراد الزنزانة الواحدة عشر دقائق في استخدام المرحاضين المتوافرين فقط .

والحمام الوحيد المسموح به هو حمام لمدة لا تزيد على خمس دقائق للفرد يوم الجمعة فقط ، ابتداء من الساعة السادسة صباحا إلى ما قبل الظهيرة ضمن الشروط التي تُوفّر لك من الحراس ، وإذا حاولت - على سبيل المثال - أن تغسل رأسك في يوم من الأيام أو تحمم جسدك ، مستغلا زمن خروجك إلى المرحاض ، بدون موافقة مسبقة فإن العقاب سيقع عليك إلى حد تحرم فيه من الحمام لمدة شهر . والمسموح به في حالة الطوارئ هو أن يدّعي شخص ما أنه احتلم في الليل ولا بد أن يستحم للصلاة ، وهنا يتم التحقق من هوية الطالب فإذا ثبت أنه من المصلين ، وأنه ليس يساريا ، فحينها يمكن أن يسمح له . وغالبا ما يكون الاستحمام لمن يرفض طلبه عن طريق التيمم .

عليك أن تشتريليفة الحمام ، والصابون ، والبشكير ، من فلوسك . . ولا يسمح لك بشراء واستخدام معجون الأسنان ، وفرشاته ، والمشط ، والتبغ إلا بعد شهر من سجنك ، وستمنح لك مشروعية هذه الأشياء بعد الشهر في حالتين ، الأولى أن تعترف بما اتهمت به ، والثانية أن تكون هناك واسطة لك في الخارج تساهم في دفع المحققين إلى تحسين ظروفك الصحية .

بعد شهر أيضا وضمن الظروف نفسها يسمح لكل زنزانة على حدة

بالخروج مرة أسبوعيا بعد ظهيرة كل يوم جمعة إلى ساحة خارجية في مواجهة الشمس للمشى لمدة ربع ساعة تقريبا!!
الزيارات الخارجية ممنوعة ، لكن الوساطة أكبر من كل قانون ، لذلك يمكن أن تجلس مع قريب لك مدة عشر دقائق في غرفة المحقق المسؤول عنك لمرة واحدة طيلة سجنك بشرط أن يدور الحديث في سياق يؤنبك فيه الزائر على أفعالك المشينة التي تسعى من خلالها إلى تخريب وضع البلد ، فأنت من هذه الناحية مدان بشدة ،وعليك أن تتعاون مع المحقق الذي لا يهدف من وراء اعتقالك سوى حمايتك مستقبلا من التورط في شغلات أكبر تؤدي بك إلى التهلكة .

يمكنك أن تشتري «دخانك» وتضعه عندك بعد شهر أيضا وضمن الشروط نفسها ، لكن إشعال التبغ لا يكون إلا في أوقات معينة حيث النار تكون مع الحارس ، ولا يمكن أن تسلم لك ، والسبب هو الحرص على حياتك ، إذ يمكن عن طريق النار أن تحرق نفسك ، وعليك أن تنتظر الوقت الذي يحوم فيه الحارس على الزنازين صباحا وظهرا ومساء ، وهو يقول :نار نار نار .. وحينها يمكنك أن تشعل سيجارتك ، بشرط أن تحاذر من شيء واحد ، وهو أن تتعاطف مع زميل لك في الزنازة يدخن ، ولم تصله بعد الموافقة الأمنية على التدخين .. فإذا أعطيته سيجارة فأنت ستصبح محروما مثله ، وسيضاعف لكليكما العذاب .. وهنا كان يتم التهرب من هذا القانون بأن تأخذ إذا كنت ممنوعا «هفة» أو هفتين أو ثلاثا أو ما تقدر عليه من يد زميلك المسموح له بالتدخين .. والويل لك إذا اكتشف الحارس اللثيم آثار دوخة على وجهك . لكنك وللحق قد تدخن في نبطشية صاحب السن الذهبية ، لأنه لا يسأل الممنوع والمسموح ، إلى حد كنا نتعجب فيه من أخلاقياته المثالية ، وما أن تجرأ حسن يوما على القول له :«أنت بصراحة شخص مثالي ، تختلف عن الحراس الآخرين ، لذلك أتعجب من وجودك في هذا الموقع البشع » .حينها رد عليه قائلا بهمس

«أولادي يريدون الخبز والشاي يوميا» .

القهوة ممنوع استخدامها بتاتا ..

يستخدم الشاي صباحا فقط في كاسات بلاستيكية تبقى عندك في
الزنزانة ، وذلك حرصا عليك من الانتحار عندما تكون الكاسات
زجاجية!!

عليك أن تحاذر من إزعاج الحراس ، لأن العقاب يحل عليك بطريقة
تؤلمك كثيرا ، وغالبا ما يكون عن طريق حرمانك من ميزة أو أكثر من
الميزات السابقة ، أو أن يخرجوك إلى ساحة الوقوف فتقف على رجل
واحدة حتى تهجم على الأرض مغمى عليك !!

طرق التعذيب متنوعة .. فلا تسأل عن ذلك .. والحديث المفصل في
هذا الأمر مغامرة غير محمودة العواقب!! .

عليك ألا تكون حساسا تجاه العالم المحيط بك ، فمثلا يجب عليك ألا
تتحسس من كثرة السوس في العدس ، كما يجب عليك ألا تفتش
عنه . و عليك أيضا ألا تنظر في شكل الخبز ، وإذا وجدت شعرة أو شعرا ،
وكثيرا ما ستجد ، فأنت حينها يجب أن تتابع أكلك بنفس طيبة ..
فالزنزانة ليست فندقا ، وأنت لست ضيفا محترما ..

إنك معتقل وكل الأشياء التي حولك تتقصد إذلالك لأنك ببساطة
من وجهة نظر المحقق تخون وطنك بما تفعل ، ومن يخون الوطن يستحق
العقاب في كل ما يصله من امتيازات!!

وعليك أخيرا أن تحمد ربك - كما حمد صاحبنا العائد ربه (أقصد
العمر) - على الخير والعز الذي أنت فيه .. لأنك لو كنت في دولة ثانية
لما وجدت ما تأكله غير ..

نعوذ بالله من ذكر ما لا يذكر !!

(١٢)

الخروج :

تجاوزت الساعة الثامنة مساء ، ومنذ السادسة تقريبا والزنازين ، تفتح ، وتغلق ، ولا أصوات تأتي من جهة التعذيب ، بل تُرك المذياع للمرة الأولى يُقدم نشرة أخبار موجز الثامنة ..

« ما الذي يحدث في هذا اليوم ؟!!! » تسأل زيد العامر باستغراب ، فرد عليه صلاح قائلا « الله أعلم !! » . ثم عقب حسن : « أكيد توجد تصفية لأحد التنظيمات ، لأجل إحلال تنظيم آخر مكانه » .

توقف الحارس أمام زنزانتهم ، وأعلن أسماءهم الثلاثة :

صلاح عبد النبي ، حسن إسماعيل ، زيد العامر ..

جهزوا الثلاثة أنفسهم ، واحملوا كل أغراضكم ، سأحضر لإخراجكم

من الزنزانة ، بعد عشر دقائق ..

فتح الحارس الزنزانة ، فسلموا على العمر بحرارة ، متمنين أن تحل

قضيته بأسرع ما يمكن ..

خرجوا مع الحارس ، فقال له حسن : سجن أم إفراج !!؟
رد الحارس بجفاء : « لا أعرف » .

وصل بهم إلى باب الغرفة المفتوحة ، فاستقبلهم رجل طويل القامة
أشقر الشعر وهو يضحك :

« أهلا وسهلا بالشباب المحترمين .. تفضلوا اجلسوا ..

- مبروك .. مبروك .

- الله يبارك فيك !!

- هل تعرفون لماذا أبارك لكم ؟!

- ومن أين سنعرف ؟!

- كان من المفروض أن تحكموا عشر سنوات ، لكن ما حدث أنه

جاءكم عفو عام من القصر مباشرة .. هذا المساء فقط وصلتنا البرقية ..
لذلك ستخرجون مباشرة إلى بيوتكم ، وما أريده منكم أن تكونوا بعد ذلك
عند حسن الظن بكم .. لا أريد أن أسمع في يوم من الأيام أن هناك
مشكلة من ورائكم ..

بودي أن تصبحوا متعاونين معنا ، لكنكم وقد رفضتم من البداية فلا
بأس أن تخرجوا من هنا ، وتفكروا ، وفي حال حاجتكم إلى مساعدة
ستجدوننا دائما في خدمتكم ، فنحن لم نجلس على هذه الكراسي لأجل
أن نعاقب أو نعذب ، أو نهين .

نحن هنا فقط لأننا نقوم بحماية هذا البلد من كل مكروه ، وأنتم
وقعتم في فخ أناس لا يقدرّون المسؤولية ولا الأمن الذي يفترض من كل
مواطن في هذا البلد أن يقده .

ولأن الأمن حياة كريمة لنا ولأبنائنا من بعدنا ، فلا يجوز إطلاقا أن
نضيق حياتنا من أجل شعارات كذابة ، تدعي الديمقراطية ، والوطنية ،
والتحرر . وأصحاب هذه الشعارات الخداعة ، يتركونكم هنا للعذاب

وتحمل الشقاء ، وهم يقيمون هناك في نوادي بيروت وملاهيها .. والكارثة أنكم تعتبرونهم رموزا للوطنية !!

على أية حال أنا لا أريد أن أدخل معكم في جدال حول صدق أو كذب كلامي ، فقط أريد أن أقول لكم شيئا واحدا ؛ وهو أننا سنفتح لكم من هذه اللحظة صفحة بيضاء مثل هذه الصفحة . وسأقول عفا الله عما سلف ، وعندما تخرجون من هنا لا أريدكم أن تتخذوا مرة أخرى ، لأن العقاب بعد ذلك سيكون مضاعفا ، وسنكتفي مرحليا بحجز جوازات سفركم ، لتكون بين أيدينا لمراقبة حياتكم الجديدة!!، أي مساعدة تريدونها من هنا أنا في خدمتكم ، فقط اطلبوا من الاستقبال أن تقابلوا شخصا اسمه «جدوان» ، وحينها ستجدونني في استقبالكم .. يجب أن تكون بيننا صداقة ، ما دتم ترفضون التعامل معنا ..

مع السلامة يا شباب .

- الله يسلمك !!

سار بهم العسكري في عدة طرقات تحت الأرض ، ثم خرج بهم إلى مركز الأمانات حيث أخذوا أماناتهم ، فاندفعوا إلى الشارع العام الذي بدا مألوفاً بالنسبة لهم وغريبا بعض الشيء ..

كانت الساعة التاسعة وخمس دقائق مساء عندما ركبوا سيارة الأجرة عائدين إلى الشقة التي ما أن فتحوا بابها حتى جاءتهم رائحة بقايا الزبالة المتعفنة من جهة المطبخ حارقة .. وبدت الشقة باردة إلى درجة كبيرة تصورها حالة مرضية شديدة ..

تحسسوا فراشهم المغير .. حاولوا ترتيب بعض الأشياء .. بدأت الألفة تعود تدريجيا ..

أسرع حسن إلى المذيع ، ففتحه على نشرة الأخبار ، لكن النشرة كانت في آخرها ، فالحديث كان عن حالة الطقس المشمس المتوقع غدا .. حاول أن يبحث عن أخبار في محطة أخرى ..

توقف زيد العامر يراقب حركة غلاية القهوة التي اقتربت من
الفوران ..

في حين راح صلاح يجمع بعض الزبالة المؤذية ليلقيها في كيس كبير
في طريق إخراجها من الشقة ..

تجمهروا حول صوبة الكاز التي بدأت تعيد إلى الغرفة المسكونة
بأسرتهم الفارغة شيئا من الحرارة ، يضاف إلى ذلك أن القهوة ساهمت
بإعادة الألفة بينهم ..

أخذ الحديث المتقطع يدور بينهم عن الأشياء التي سيفعلونها غدا ،
متحاشين الحديث عن الفترة التي قضوها في الزنزانة وقد تجاوزت إقامتهم
هناك الشهرين والنصف ..

وفي لحظة مفاجئة قال صلاح: هل كان من المعقول أنهم كانوا
سيحكمون علينا عشر سنوات!!

ولما لم يرد عليه أحد منهما قال بصوت مخنوق : «كارثة لو حصل
هذا الحكم!»

الشتاء في بداياته ..

قدم المذيع في الثانية عشرة ليلا موجز الأنباء :

انقسام كبير داخل المجلس الوطني الداري ، إثر الانقسام الكبير الذي
حدث في الثورة نفسها ..

غارة إسرائيلية على قيادة الثورة في تونس ، ينجو منها القائد بالصدفة
بعد أن خرج قبيل لحظات لممارسة رياضة المشي على الشاطئ القريب ..
مجموعة من الحيتان تخرج من البحر وتحاول الانتحار على شواطئ
جزر «واق الواق»!!

ارتفاع أسعار الدولار مقابل انخفاض في أسعار الين الياباني ..

وفي النشرة أخبار أخرى تستمعون إليها في التفاصيل ..

هجم الرعد مرة واحدة ، وأبرقت السماء ، وبدأ المطر يتساقط محدثا

جلبة في الخارج ، وحينها قام صلاح ، فشق النافذة الشرقية حيث تسلفت رائحة المطر مع الهواء البارد الذي حاول أن يطرد ما لديهم من سخونة تسري في أجسادهم التي بدت وكأنها بحاجة إلى حمام حار لإزالة ما فيها من الرطوبة !!

طلب حسن من صلاح أن يغلق النافذة ، فأغلقها .
دخل صلاح إلى الحمام ، وما أن خرج حتى وجد صديقيه يغطان في نوم عميق ..

حمل الصوبة إلى المطبخ ، فأطفأها ، وأغلق عليها الباب ، وعاد إلى الغرفة ليتدثر بغطائه فوق السرير الذي أخرج صوتا مزعجا عندما ألقى بجسده عليه ..

(١٣)

صلاح

- توقف صلاح أمام الضابط الكبير يحمل ورقة ، خطّ فيها طلبه الذي يطلب فيه أن يُسمح له بمتابعة دراسته . .
- قال الضابط وهو يحاول أن يقرأ الورقة :
- ماذا تريد؟!
- أنهيت الماجستير ، وأريد أن أتابع دراسة الدكتوراه ، والجامعة تريد موافقتكم .
- كم عمرك ؟
- ٢٦ سنة !
- العمر المسموح به للدراسة الجامعية سبع سنوات ، وأنت مقيم في البلد سنة زيادة ، يعني خالفت الإقامة .
- ولكن في الجامعة بعض الحالات مثل حالتي !!

- ماذا تقصد ؟! أتكذبني ؟ !! .

- آسف سيدي .

- اذهب ادفع مخالفة ثلاثين ليرة ، وغادر البلد خلال يومين من تاريخه !!

لم يدفع صلاح المخالفة ، ولم يغادر البلد ، بل عاد بعد أسبوعين ليحاول مرة أخرى عن طريق الواسطة كما قال له زميله الذي دبر نفسه .
قال الضابط للواسطة : «أنت مع السلامة ، وخير إن شاء الله » ..

بعد ساعة تقريبا وجد صلاح نفسه محملا مع ثلاثة أشخاص آخرين في سيارة عسكرية رمتهم في السجن العام في غرفة طولها أربعون مترا وعرضها عشرون مترا ، وفيها ما يزيد على ستين سجينا مدنيا وعسكريا ، تحتل الزوايا فرش نظيفة لأربعة أشخاص قيل له : «إن هؤلاء هم شيوخ الغرفة ، ولديهم حدثان يقل عمرهما عن ستة عشر عاما ، وهما من نساء الغرفة ، فالشيوخ كما تلاحظ يلعبون الورق ، والفائزان منهم ينامان مع الولدين في الليل . وأنت بما أنك جديد ستنام هذه الليلة عند الأحذية ، أو عليك أن تستأجر إذا كان معك فلوس فراشا جيدا لينام صاحبه بدلا عنك عند الأحذية .. حكمك معروف ثلاثة شهور سجن» ..

في اليوم الثاني حُمل صلاح إلى المحكمة العسكرية ، وعاد إلى السجن ليقضي ثلاثة شهور ..

من حسن حظه ، أن السجن العام كان بحاجة إلى مدرس لطلاب التوجيهي . لذلك أخذ من الغرفة الطويلة ووضع في غرفة جيدة ، رغم قربها من غرفة المجانين المعروفة في السجن بعدم هدوئها !! وكان السجن أيضا مليئا بالسياسيين ، حيث التقى صلاح بالشيخ ياسين !!

جاءه زيد العامر بعد يومين في زيارة الصباح ، فطمأنه صلاح على حاله ، وأنه أصبح مدرسا في السجن بدل أن يكمل الدكتوراه ، والتحق بدورة طباعة ، وأصبح يمارس هوايته القديمة في الفن التشكيلي ، وقال

ضاحكا :

وقد لا تصدقني إذا قلت لك : إنني أصبحت أمارس كتابة القصة ،
وكتابة الشعر .. فالسجن مليء بالقصص والشعر إلى حد لا يمكن أن
تتصوره ، وكم تمنيت أن تكون معي لتتعمق تجربتك من خلال هؤلاء
الناس .. كنت أعرف أنك ستأتي هذا اليوم لذلك أحضرت إحدى
القصص التي كتبتها ، سأطويها وأدخلها إليك من خزق الشبك ، أقرأها ،
وقل لي رأيك عنها في المرة القادمة .. أريد عشرين ليلة .. السجن هنا
أعلى من الخارج .. وكل شيء متوفر .. هنا أناس مسجونون ليمارسوا
التجارة .. أينما تذهب ستلاحقك البورجوازية .. نسيت أن أقول لك :
وجدت الشيخ ياسين هنا .. اليوم أنا معزوم عنده على منسف .. إنه يسلم
عليك كثيرا وأيضا على حسن !! لا تنس أن تحضر معك حسن في
الزيارة القادمة .. أريد أن تحضر لي الدخان ، لأنه في الخارج أرخص من
هنا ..

جلس زيد العامر في المقعد الخلفي من سيارة السرفيس . امتدت يده
إلى الأوراق التي أعطاها له صلاح .. في نفسه أن يقول بصوت مرتفع :
«كلنا سنصبح شعراء أو روائيين في النهاية » ..

قصة الفضبان

- هيا نرقص بين القضبان... ربما يقتل هذا شيئا من الخوف..!!

كان عليكم أن تعرفوا أنهم في الزنقات يصبحن شريفات... فهي ببساطة باعتمكم للدرك بأتفه ثمن.. كان عليكم أيضا أن تعرفوا أن علاقتها بكم لا تتجاوز ما تدفعونه.. إنه الشبق!!

وهذه هي النتيجة أربعة يقبعون خلف القضبان لستين كاملتين، عليكم أن تأكلوا سياط أيامها سوطا سوطا، وعليكم ألا تتوجعوا... اهتز الجسد بشيطانية غبية فقدمته أول مرة شهيا.. كانت الشهوة الأولى على أمل الزواج.. ثم تحولت إلى البحث عن الثمن... كانت هي الأضعف.. وعند الدرك هي الأقوى....

حاولوا بلسان واحد أن يعتذروا أو أن يدافعوا.. اغتصب «سليم» التفرد بالكلام من دونهم.. ربما هو أذكاهم... وأيضا كان أقواهم.. والزعامة في السجن المدني أساسها القوة العضلية؛ لأن قوى

الذكاء تذهب في الاحتيال والجريمة ... - لم أكن أتصورها منذ اللحظة التي أوقفنا فيها الشرطي تصرخ وتتباكى ، وتقول له : « اغتصبني مع أصدقائه »

أردت أن أخبره أنها خطيبتني ، فسبقتني إلى أمر لم أتوقعه ..
ورطتنا .. حاولت إقناعه فرفض .. لم أضرب مثل ذلك الضرب في حياتي .. ظننته الموت فاعترفت عليهم
تلملوا ؛ لأنهم يعتقدون أنه هو الوحيد الذي ورطهم . كان من المفروض ألا يعترف علينا ...

- أتحمل بلية مومس لوحدي .. الموت مع الجماعة رحمة !!
- أنت خرجت تفسحها بدون علمنا . ألم يعجبكما العشاء الموجود في الغرفة؟! ومتى تخرجان؟! بعد العاشرة ليلا !! أهذا وقت فسح !!؟ إن هذا هو الوقت الوحيد الذي يجعلهم يشكون بأية واحدة موجودة في سيارة تاكسي!!
كان عليكم أن تعرفوا أنها تدرس قوانين الدرك والقضاء قبل الاحتراف .. اعترافها عليكم معقول .. فهي لن تعترف بأنها مومس بدون رخصة .. أو أنها بائعة جسد .. إنها تاجرة ذكية!! وأنتم الأغرار!! ...
كلهم أكدوا أنها المرة الأولى ...
سيبقى العار في رقابكم إلى يوم تبعثون .. سجن على شرف مومس!! ..

ستقرع القهقهات أذانكم ، وسيشار إليكم بالبنان ، فتغضوا الأبصار .
وربما تقولون : يا ارض انشقي وابلعي .. وإلا « فالذين استحو ماتوا » .
ربما قسوت عليهم والسجن يحتاج إلى الرحمة ...
قال برهان : « المشكلة أنهم صدقوا كلامها وكذبونا .. وكانت دموعها سيالة ...

هؤلاء يا سيدي أخذوا شرفي بالقوة .. حجزوني في الغرفة

ثلاثة أيام .. وبالعافية ضحكت على سليم حتى يخرجني في رحلة
وسط البلد!! كنت أعرف أنكم ساهرون .. !!

علق حامد: «أنا رأيته تغمره عندما خرجت من المركز!»
هكذا أنتم دائما تتهمونهم بالتواطؤ .

قال لها : سنأخذ لك حقك وزيادة؛ سأجعلهم يعفنون في
السجن .. الأوغاد .. يتشاطرون على قاصر مسكينة .
لعله اتفق معها على نسبة !!
هذا أكيد!!

لا تبرروا .. أنتم أخطأتم ، وتستحقون العذاب والعقاب .
شهر ، ثلاثة ، ستة .. سنتان من أجل مومس!!

يوم اعتقلونا قامت القيامة : ضرب بالأحزمة ، والعصي ، والكنادر ،
والأيدي ، والأرجل ، والبصاق ، وأجبروا كل واحد منا أن يبول على
الآخر!!

ضحكوا مع البول ، وصوروا كيف تمت العمليات .. كان تعيس
الحظ الذي بول عليه سليم ...

تستحقون هذه السخرية ، ليس من أجل المومس ، ولا من أجلهم ،
ولكن من أجلكم .. لقد كنتم أغبياء! .
صدقوها وكذبونا .. آخر زمن!!

قائدهم عمل بنا العجائب .. كان يريدنا أن نوقع على أنها
كانت عذراء!

المصيبة أنكم حشرتم قذاراتكم في وقت واحد ..
الكلاب فقط هي التي تفعل ذلك ..

حمار الوحش يا سادة يا لثام شديد الغيرة على أنثاه .. سأقرأ
لكم فيما بعد معلقة لبيد بن أبي ربيعة وستعرفون الحكاية .. !!
يبتسمون للكلمة الجارحة ويخفضون أنظارهم للكلمة الطيبة ..

وهذا المجتمع يعلو صوته عندما تقع عينه على البؤساء .. وقد قيل :
«هناك شيئان لا يسمعهما أحد : « موت الفقراء وتعاريص
ال ... » .

سجلوها فتح بيت دعارة !!

التغريب بفتاة ساذجة !!

الإباحية !!

- اغتصاب !!

- هتك عرض !!

- توقفوا ، توقفوا .. النهاية !!

- سقطت تهمة الاغتصاب .. وبقيت الدعارة والتغريب !!

- حكمونا خمس سنوات . وخففت إلى سنتين .

- السجن مدرسة ... هم في خدمة الشعب !!

- حاميتها ...

- اتركوا الكلام الفارغ .

- قائدهم معنا - الآن - هو واثنان من زملائه .

- قول وغير !!

- محكوم ثلاث سنوات بتهمة إدارة بيت في الحي الراقي .

- ضربنا ضربا !! من يراه يقول عنه : أبو الشرف .

- أصابع اليد ليست واحدة !!

- كان بإمكاننا ألا ندخل السجن !!

- كيف ؟

- لو تزوجها أحدنا !!

- معقول ؟ !!

- هذه هي القاعدة !!

- كان عليك أن تفعل ذلك وتنقذ الآخرين .. أم كنت تنتظر

من ينقذك؟!

لو تزوجها واحد منا لبقيت معلقة في عنقه مدى الحياة ..
فالحكمة لا توافق على طلاق مثل هذا الزواج .

السجن عشر سنوات أرحم من الزواج بموس .

- هل هي الموس الوحيدة؟ ما فعلتموه يا سادة يا نيام هو فعل
موسي . أنتم أيضا!!

ضحكوا وكانت في عيونهم أحزان عميقة .. وربما علامات
توبة .. أو انحدار نحو هاوية مرة ...

إنهم الآن يرقصون رقصة القضبان الخيفة .. !

1985/11/2

(١٤)

حسن

كان من المفروض أن يُحضر زيد العامر العشاء هذه الليلة له وحسن ، لكنه تأخر ، وها هي الساعة شارفت على التاسعة والنصف مساء .. ولم يبق أمام حسن سوى أن يحمل نفسه ليخرج إلى البقالة ليشتري شيئاً سريعاً يسد به جوعه .. ولما وجد البقالة المجاورة مغلقة ، فقد تابع سيرة ، ثم التف يساراً ليتوجه إلى بقالة أخرى ، وما أن مشى عدة خطوات حتى خرج له من باب الفيلا اليسارية الأولى رجل ضخيم ، يحمل مسدساً ، أطلق منه عيارين ناريتين في الهواء محذراً من الهروب ، ثم هجم على حسن ، ليبطحه على الأرض ، ويجلس فوق ظهره ، قائلاً : وأخيراً مسكتك يا كلب ..

تجمهر الناس على صوت النار ، ثم حملوا المعتقل إلى غرفة الضيافة في الفيلا الفارغة ، وقد تجمع حوله أكثر من عشرة رجال ..

قال صاحب الفيلا : منذ سنتين ، وأنا أترصده ، قفز من حديقة منزلي الخلفية ، وقفزت وراءه من الباب ، فوجدته أمامي .

قال حسن وهو يلم آثار كرامته المبعثرة للرجل الضخم : ستدفع الثمن غاليا عندما تعرف من أنا ، فأنا ابن ناس وعشيرة ، وإذا كنت تتحدث عن لص ما ، فما أنا سوى جاركم من الجهة الأخرى ، خرجت لأشتري عشائي ، وكما تلاحظ فأنا ألبس الشيشب ، وأي لص لا يلبس في رجله شيشبا .

ضحك الرجل الضخم بمرارة ، وعلق على الشيشب الذي لم يعد حسن يلبسه حينها ، لأنه بقي في الشارع ، وقال ساخرا : أتريد أن تعرفني بأساليبكم المحترفة للتمويه . عليك أن تعترف ، وفي حال اعترافك سنسوي الأمر بيننا ، ولن نحولك إلى الشرطة ، وإذا أنكرت سنحولك إلى الشرطة ، ولدي الموس الكباس الذي تركته خلفك بعد أن تمكنت من الهرب عدة مرات ، سأضعه في يد الشرطة وهناك ستعترف ، وأقول وجدته معك ، وكل هؤلاء الجالسون سيشهدون ، لأنهم عانوا منك كثيرا ..

انتفخ حسن غضبا ، وقال صارخا في وجوه الجمع ، هذه مؤامرة وأنا من سيطلب الشرطة ، أنا من سيريكم كيف ستندمون عندما تعتقلون شخصا من الشارع وتتهمونه بكل هذه التهم ، وسأخبر عشيرتي ، وستعرفون كيف ترد إلي شرفيتي أيها الأوغاد البورجوازيون . أين هاتف الأمن .. أريد أن أتصل بالنجدة ..

حاولوا معه أن يحلوا المسألة بشكل ودي ، لكنه رفض ، وسأهم في رفضه تحدي الرجل الضخم له ، إذ راح يكرر في وجهه : الأفضل أن تعترف هنا قبل أن نحول أمرك إلى الشرطة ..

اتصل الرجل الضخم بمدير المغفر المناوب ، شرح له ما حدث باختصار شديد ، ثم حول الهاتف لحسن وهو يقول له : « مدير المغفر يريد الحديث

معك» ..

قال حسن : يا سيدي مسكوني من الشارع ، وأنا إنسان محترم ، وابن ناس ؛ ويهددونني بتزوير شهادات ضدي ، وأنا كنت خارج من منزلي للبقالة ..

قطع الشرطي في الجهة الأخرى حديثه ، وقال له أنا اتفقت مع غريمك على أن تحضرا معا فقط في سيارته إلى هنا ، وسنحل المشكلة بشكل ودي بينكما ..

خرجنا معا ، وقد لبس حسن شبشبته الذي أحضره له من الشارع ، وركبا السيارة الحمراء ، بصمت شديد ، وقد جلس في المقعد الخلفي ابن الرجل الضخم ، الذي ربما جاء لحراسة أبيه .

دخلا من البوابة المدججة بالعساكر ، توقفا أمام النظارة ، إذ فتح الشرطي الذي يحرسها الباب ، فدفع حسن إلى داخلها ، وهو يقول ، انتظر هنا حتى يطلبك الضابط المناوب ، في حين توجه الرجل الضخم إلى الداخل لمقابلة الضابط المناوب من غير دليل ..

انتظر حسن ساعة وهو يغلي من الحقد ، هو الذي طلب الحضور إلى الشرطة للشكوى ، فلماذا يحجز هنا ، ويترك غريمه ليقول ما عنده مزورا الحقائق ..

عادت إلى ذاكرته تلك الحادثة ، التي جعلت من صديق قديم لهم ، يأخذهم الثلاثة إلى المغفر مدة أربع ساعات ، عندما اشتعل الحريق بصالون نسائي قريب من شقتهم الساعة الواحدة ليلا ، وقد كان يعتذر منهم بين الفينة والأخرى ، مبالغا في إكرامهم بالعنب والشاي والقهوة ، وهو يردد : « أنتم العزوبية الوحيدون في الشارع ، وكان علي أن أحضركم إلى هنا لتكتبوا إفادتكم عن الحريق ، فأنا خريج جديد من الكلية الأمنية ، ويجب أن أفعل شيئا حتى أثبت جدارتي ، وكان لا بد من مجيئكم معي ، متحاشيا قدر الإمكان القول : «إنكم المتهمون الوحيدون في الشارع!!» ..

خرجوا من الورطة المؤدبة في الصباح نفسه عندما اتصلت الشرطة بصاحبة الصالون التي اتهمت بدورها صاحبة صالون آخر منافس بتدبير الحريق ، وقد قيل بعد ذلك أن الأخرى اعترفت ، ولم تستطع الشرطة أن تفعل معها شيئا لأن ظهرها مسنودة كما يقولون ..

هل تسرعت عندما طلبت المجيء إلى هنا؟! شاهد الرجل الضخم يخرج من غير أن ينظر إليه في النظارة .. وبعد عشر دقائق فتح الشرطي الباب ، وطلب منه الخروج إلى الضابط .. دخل حسن حيث كان الضابط يتحدث بالهاتف ، فأشار له بالجلوس ، وما أن انتهى من المكالمة ، حتى التفت إلى حسن ليقول له :

غريمك كتب إفادته ، وهو يدعي عليك أنك دخلت عدة مرات إلى حديقة منزله ، ومنذ سنتين وهو يترصدك ، طبعاً لا يتهمك بالسرقة ، لأن إفادته لا تشير إلى سرقة حدثت في بيته ، لكنه يشك في أن يكون قصدك إزعاج بيته ، وربما بناته تحديداً ، قل لي بصراحة هل لديك أية علاقة بإحدى بناته ؟!

- أنا شخصياً لا أعرف عنده أية بنات من أصله ؟!
- ربما عنده بنات في سن الزواج ، ويريد أن يبحث لهن عن عرسان ، فإذا كنت تريد واحدة بعينها يمكن أن نطلبها لك ؟!
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !! والله لم أعرف له بنتاً !!
- على أية حال خذ هذه الأوراق ، واكتب ما لديك من ملابس عن المشكلة ، وستحل الأمور عندنا على ما يرضيك ..

جلس حسن يكتب كل صغيرة وكبيرة ، لينهي خطابه قائلاً ، «وأنا من طلب القدوم إلى الشرطة ، لأقدم الشكوى ضد رجل ضخم لم أعرف اسمه اعتدى علي في الشارع العام بالسلاح والضرب ثم بالتهديد وبتزوير التهم ضدي .. المدعي : حسن إسماعيل الداري .
التاريخ : ١٩٨٥/١١/٨

سلم الأوراق للضابط المناوب الذي دعس الجرس ، حيث حضر بعد دقائق شرطي متدني الرتبة ، أدى التحية في وجه الضابط ، وقال :

- نعم سيدي !!

- خذ حسن ، وحول ملفه مع ملفات يوم السبت إلى المحافظ .

أخذ العسكري حسن إلى غرفة نظارة داخلية معتمدة ، فتحها ، وأدخله بها . يقبع في الغرفة ثلاثة أشخاص ؛ اثنان منهما ينامان على الأرضية المتسخة بلا فراش أو غطاء ، والآخر يجلس وقد فتح عينيه الحميرتين ، حيث بدا في الخمسين من عمره ، سلم حسن ، ونظر إلى ساعته فوجدها قد تجاوزت الثانية عشرة ليلا برع ساعة !!

لم يستطع حسن أن يفهم ما يدور حوله ، قال للرجل المبعثر : جئت أشتكي على رجل تهجم علي ، فإذا بي أتحول إلى المتهم ، والرجل الضخم يخرج ، وكان المفروض أن أخرج مثله ، أو أن يكون معي هنا ..

قال له الرجل الذي يبدو أنه كان نائما وهو جالس ، المهم أنك ستبقى هنا يومين على هذه الحال وأشار إلى الشخصين النائمين بلا فراش أو غطاء ، لأن غدا الخميس وبعده الجمعة ، وفي صباح السبت ستعرض مثلي ومثل هذين على المحافظ الذي قد يفرج عنك أو يحولك إلى السجن ، وهناك تحتاج إلى كفالة لحين المحاكمة ..

- والرجل الضخم . أقصد غريمي !!

- سيخرج منها مثل الشعرة من العجين ، وتقع في رأسك إذا لم تكن مسنودا !!

بعد التاسعة من صباح السبت ، تجمع في نظارة المحافظة الواسعة أكثر من أربعين متهما ، جاءوا من مغافر مختلفة ..

كان الشرطي الذي يقف على باب النظارة يحمل قائمة طويلة سجلت فيها الأسماء بخط كبير ..

- حسن إسماعيل الداري .

- نعم ..

- استعد لمقابلة المحافظ .

فتح الشرطي القفل ، أخذته إلى الباب المغلق ، قرع الباب مرتين ،
أوقفه أمام المحافظ الضخم الأسمر الوجه الذي يلبس نظارة نظر ، ويتصفح
ملفا ..

- اسمك ؟

- حسن إسماعيل الداري ؟

- إيش قصتك ؟!

- أنا سيدي الذي اشتكى على ..

- اسمع ، هل كنت تريد زوجة الرجل أم بناته ..

- أقسم بالله أنني لا أعرف بناته ولا أعرف زوجته ..

- سأحكم عليك شهرا بالتوقيف في السجن ، وعليك أن تفكر فيه ،
وعندما تأتي الشهر القادم ، عليك أن تحدد لي علاقتك ؛ هل كانت مع
البنات أم مع الزوجة ؟!

- ولكن يا سيدي

- خذه .

سحب العسكري «حسن» ، وأعادته إلى النظارة ..

في الساعة الثالثة بعد الظهر ، كان صلاح يستقبل حسن في السجن
العام وهو يعبر له عن أحسن لحظاته سعادة ، في هذا السجن الذي يصلح
لحسن نصير البروليتاريا المعذبة ، إذ يمتلئ السجن على حد تعبير صلاح بـ
«البروليتاريا الرثة» ..

قال صلاح لصديقه الذي لم يزره مع زيد العامر تلك المرة :

- ما الذي جاء بك ؟!

- قصة طويلة .. بل قل رواية .. قد أكتبها يوما !!

- شيء رائع أن نصبح الثلاثة مبدعين .. الشاعر زيد العامر !!

والقاص صلاح الداري!! والروائي حسن إسماعيل!! وهكذا سنصبح
مجانين كتابة . .

- ما كنت أتوقع أن أجذك هنا . .

- هذا السجن مثل «الكوكتيل» المدني والسياسي والعسكري والمجنون
كلهم في هذا السجن سواسية كأسنان المشط . . موضوع طريف لرواية
تكون بطلها ، فهيا يا نصير الكادحين شد « حيلك » واكتب لنا رواية !!
هكذا سنتحول إلى زيد العامر في النهاية ، شئنا أم أبينا!!

(١٥)

حنظلة مرة أخرى

انطلق كالمجنون من بداية تقاطع ثلاثة شوارع عامة .. سار في الشارع المتجه إلى مغيب الشمس الحارقة .. الشارع فسيح تقل فيه المارة، خاصة في يوم الخميس، وربما في كل أيام الأسبوع .. حمل أوراقه كما يحمل الحمال حبله . تسكع في الشارع الطويل . اجتزر ذكرياته المتخوزقة، ولعنة الشيطان التي لازمته منذ كان طفلا يحبو .. أحاطت نظراته بالشارع العريض والمنشآت العملاقة وحركات السيارات المجنونة وأنواعها النادرة ..

كانت في جسده لعنة الشيطان التي انتقلت إلى أوراقه في حينها .. وفي كل حين عندما تحل غيوم الغضب .. حط رحاله في الكافتيريا الواسعة ..

كتب العنوان : « حمار يدخل الشارع » : يتأمل بتفكير حاد ..

يذكر الأيام المنسحبة .. يبصق على الخلاء .. يبصق على صورة الظل
في الشارع .. يرفع رأسه وينهق بصوت مرتفع .. يرفس الفضاء .. يشخر
من أنفه .. لم يعد يهرب شيئاً .. يلاحق القطعة التي تهرب .. يرفع
ذيله بأعجوبة .. اليوم من أقبح الأيام .. الذل يخر عظامه .. علي أن
أرحل لأستعيد وجودي .. هذا العالم هو عالم الذل والمهانة ..
الاستقرار تشعل به النيران .. العيش هنا يعني أن تلغي ذهرك .. أن
تُحلَّ مكان الذهن عقداً جديدة ، تكشف عن أنيابها ، تفترس
الوعي .. كل الأفواه تقول لك : كل .. الأكل موجود في كل البيوت ..
يدخل إلى شارعك حمال .. لا تركبه أو يركبك .. يقمعك ..
يحمل فأساً ، يضرب بها في جذورك كي يهدمك أو يشنقك .. ثم
يرمي أمامك النفائات ..

تلومك كل الأفواه : أنت السبب ، أنت من يحمل الفأس ويهدم
الجذر .. والحمال !!؟ اخرس!!

يخرج الحمار من وسط الشارع ، ويتلاشى في الخلاء ، وهو ينهق .
بدأت مخيلته تتضارب يمينا وشمالا ، فتذكر لعنة الشيطان ، وحجر
أمه ، وأباه الذي يقال أنه لم يقل التسمية ، كما يتصور هو ، لا كما
حدث في الحقيقة !!

القصة تختمر في ذهنه ، يتفاعل معها ، يفرح بها ، ينتعش ،
تلتصق به ، فالبطل المحروم من كل شيء يلتقي بالجنية التي تحضر له
كل شيء بشرط أن يتزوجها .. يتلاعب في دماغه الشيطان ..
وفي وقتها كان الحمار الغريب قد تلاشى من الشارع الحديث ،
وراح الحمال يركض بتمايل ، وقد تصبب منه العرق ، وبصق مرتين على
الحمار الذي تمرد فجأة على كل الأعراف .. !

« امرأة .. » :

نادت عليه من النافذة .. إنه صوت امرأة .. لكنه صوت يظهر فيه الخشونة وربما يتجسد فيه قول بني .. «إذن لست أنا المقصود ما دام يتعلق الأمر بلفظ بني .. فأنا أحمل لعنة شيطان العالم .. ولن أجد من يقول لي يا بني في هذا العالم المحروق .. لكنه عالم يضحك من شدة العلو في البناية الفارحة ..»

نظر إلى النافذة فلمح وجه امرأة ، «إنها ليست أُمي في كل الأحوال .. ولكن ماذا لو كانت أُمي هنا .. وهي التي تنادي علي ..» إنه الضياع في ذاته الشيطانية التي تتحول إلى رحمة تفتت الصخر أحيانا ...

البيت كبير واسع .. يرتفع حوله سور شاهق .. يتمازج مع النوافذ العالية .. المرأة تنظر إليه .. المرأة روح غريبة تسيطر على جسده .. ليس من المعقول أن يفقد توازنه .. تساءل عن السبب الذي جعل الحمار يهرب من سيده .. ويتجه نحو الخلاء .. دارت

الأرض به للحظات .. « ماذا يعني لي هذا السور اللعين .. وتلك المرأة المتسورة بالنافذة الحجرية؟! وكلمة ابن تلتصق بذهني .. وراعي الغنم يقرع دماغى بعضا .. فأسمع الكلب ينبج ، والنعجة تلد جديا لا خروفا ، فتغطي رفيقة المولود عيني الحمار ، وتعبق رائحة الولادة أنفه المزموم .. »

يتلاشى كل شيء ويستقر في ذهنه أن المرأة تريد منه خدمة ما ..
وحينها شعر بحرق في داخله ، وهو ينجي المرأة من كارثة تلم بها ..
اقتحم بوابة الحديقة التي لم يكن يقف عليها ناطور يحمل عصا غليظة .. نظر حوله .. وقف في مكان ما حيث تسمعه المرأة جيدا ..
قال مخاطبا النافذة :

هل تنادين علي؟ ماذا تريدين؟ إني لا أعرف الطريق إلى الداخل!! هل أعود إلى الشارع؟ إنك لم تنادي علي ..!! إنها لعنة الشيطان يا سيدة أنا أسف!!

كانت المرأة تتكلم .. سمع من كلامها الشجرة الكبيرة ..
اجلس هناك ..

نظر حوله فوجد شجرة غريبة ..
جلس على المقعد الخشبي .. نظر حوله عله يجد رجلا ما يبدد خوفه الوجمل .. يقتل لعنة الشيطان ..!!

« المرأة هي التي طلبت مني أن أجلس على هذا المقعد المشبوه ... إنها قالت لي يا بني!! لم الخوف؟! إنها كما يبدو كبيرة في السن!! لعل هذا يقتل أية محاولة سيئة تتقصد الاعتداء علي في الحديقة الممتدة خوفا

ربما تكون المرأة مهمة جدا .. تسكن في قصر عريق ، حيث الثراء والحسب واليد الطولى .. وفي ثيابي مساحات الفقر ولعنة الشيطان ..
لم الخوف؟ .. لم الخوف!!؟

هل شعرت ببؤسه فأرادت أن تعرف عنه شيئاً .. أن تساعد مثلاً ؟!!
وربما ستدفع له مالا من الزكاة !! كل شيء جائز .. حتى الموت !! لم
الفرع ؟!!

قد تتخذني ولدا .. فهي ربما محرومة من الولد .. ربما تود معرفة ما
يدور خارج القصر .. !!

لماذا تأخرت .. ؟! عليّ أن أهرب كما هرب الحمار .. إنها لن
تركض خلفي !! كيف أخرج بدون إذن ؟ قد يصادفني أحدهم في
الخارج ، فيقبض علي وتلتصق بي تهمة «لص يخرق حرمة
المنازل» ...

ألف علامة تعجب وصورة استفهام تحاصرني منذ تعلمتها في
العربية .. !!

قطع خروجها هواجسه وثور ضربات قلبه .. واختلطت أطوال
المسافات المرهقة بالخوف ..

امرأة في الخمسين من عمرها .. ملامح وجهها توحى بالحزن
المتراكم .. تجلس على المقعد المقابل .. تمر ثواني الصمت ساعات ..
يتفحصها .. إنها ليست شريرة !!

- ماذا تريد مني ؟!

- لا شيء .

- إذن سأخرج !!

- إنك تشبه ابني ..

« .. ابني سمير »

(ابتلع مرارة الهزيمة)

- كيف ؟!!

- إنه يدرس في الغربية ... وعندما رأيتك في الشارع تحمل كتباً ،
تذكرت ولدي الذي يعيش هناك غريباً وحيداً ..

لعنة الشيطان .. إنه يتحول إلى مهزلة .. إلى أضحوخة .. إلى
غربال تهز به مأساة الشعير في المواسم المجذبة .. ولكن ماذا بعد !!
- إن شاء الله يعود لك بالسلامة والشهادة الكبيرة ..
(دواخله تتلاعب بها لعنة الشيطان)
- وما عليك يا سيدتي سوى الصبر والسلوان .. وتأملي كل
خير .. !!

يخرج من باب القصر شيخ في الستين من عمره ، يصرخ بصوت
مرتفع : «هل الضيف قادم من عند سمير؟»
- إنه مثل سمير !!

ربما فهم الشيخ ما عنت ..
إنه يعتقد أن في القصر مسحة من الشيطان .. !!
ما دخلي أنا بسمير ، إذ لم يبعث منذ شهرين رسائل ..
حرائق تشب به ، فتجعله أضحوخة للخوف ..

إنني بحاجة ماسة إلى من يواسي جروحي .. وها أنا أجد نفسي
أواسي جروح هذه البقايا المجنونة .. لا ذنب للأمم .. إن سميرا
هناك يرتع في الخصب مع كل الإناث المتسكعات ..
أين الزكاة .. ؟!! أين مشاكلي ؟!!! علامات التعجب تلاحقني
.. والمكانس الحديدية تلتهم ذاكرتي .. وسمير هذا يفجر غضبي ..
أين يا ترى هرب الحمار المتمرد على سيده الحمال ؟!!

- ألا تصله المصاريف شهريا ؟
- في كل شهر أبعث له ألفي دولار ..
- نعمة وفضل !
- كل هذا له .. (وأشارت إلى القصر) ..
«اللعنة .. أين الزكاة ؟ أين العمل ؟ هل كل شيء لسمير
حتى الزكاة ؟»

تزداد عنده علامات التعجب فتصل إلى مليون علامة تميزها علامة
كبرى ..

تنتعش المرأة .. تتوسم خيرا في رسالة قادمة منه .. وكأن ساعي
البريد سيقرق الجرس بعد لحظات ، ليسلمها الرسالة ..
«لماذا لم يتصل هاتفيا .. لا علي .. علي أن أصمت عن هذا
الجانب .. ربما لا يوجد هنا هاتف .. غير معقول أن يكون هذا القصر
بلا هاتف !!

طلبت مني أن أنتظر ..
لعبت في دماغه آلاف العفاريات .. انحصرت تفكيره في كيفية
إطلاع المرأة على مأساته !!

« إنني مشرد يعاني الضياع والمذلة .. يبحث عن وظيفة .. لم
يتزوج .. ديونه كثيرة .. ومصائبه أكثر .. »

تطلب مني أن أعمل في القصر والحديقة .. أن أكتب الرسائل
إلى سمير .. تعطيني مبلغا كبيرا تحت الحساب

أتزوج .. أستأجر بيتا .. أخلف أطفالا .. أقتل كآبتي وهم حولي ..
تصبح لدي سيارة حمراء .. أقودها في الشارع وبجانبي خطيبي ..
أضحك كثيرا وأنفعل وينفعل الزامور .. أسير في كل الشوارع ..
سبحان الله !! بعد السير على الأرصفة أسير في وسط الشوارع بين
السيارات الكثيرة ..

أزمر بحقد كي أبعد عني المارة الذين يقطعون الشوارع بعيدا عن
الخطوط البيضاء المخصصة لهم .. ما هذا الجهل ؟ ..

لعنة الشيطان تحيط به .. تضرب دماغه ..

زامور يصعق أوردته ..

صوت أجش يحضر من كل الجهات ... :

- «امش على الرصيف يا حمار .. أتريد أن أدفع دية» ..

طابور من السيارات يتوقف خلفه .. كان وحيدا في الشارع
المزدحم بالسيارات .نظر إلى السيارة التي جاء منها الصوت ..
كان وجه الرجل ضخما ..
بحث عن أم سمير .. لم يجدها .. ظن أنه يمسك يد خطيبته ..
أين السيارة التي يركبها .. تذكر أنه حنظلة .. وأن عليه أن
يركض إلى الرصيف .. إنها لعنة الشياطين .. وملايين علامات
التعجب .. !!

1986/2/10م

(١٦)

اليود المشع

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم المريض : حسن إسماعيل الداري

العمر : ٣٩ سنة .

الجنسية : الدارية .

الحالة الاجتماعية : متزوج ولديه خمسة أولاد .

الحالة المرضية : العلاج باليود المشع عن طريق العزل من ثلاثة إلى خمسة أيام في غرفة خاصة مغلقة .

سنتان وهو يعالج من أورام غير حميدة ، حيث أجريت له عمليات استئصال للورم . وهاهو الآن يتوقف كطفل وديع يملي على الممرضة المعلومات التي تطلبها منه .

لم يعرف شبابه مثل هذه الطفولة الوديعه الأليفة . . كان مزدهما

بأفكار ثورية يسارية عن الديمقراطية والاشتراكية وضرورة التخلص من
الأنظمة الإقطاعية لأنها قمع وديكتاتوريات يراها الغرب الرأسمالي
المعادي لكل تقدم اشتراكي في الدول النامية .. لا يريدوننا أن نتحول
إلى دول وطنية اشتراكية حرة !!

سجن في الماضي عدة مرات لأنه كان يرى الحياة تتلخص في هذا
الموقف النضالي ضد الإقطاعية والرأسمالية .. وكان يرى أن إسرائيل لن
تزل إلا مع إزالة آخر حجر من أساسات الأنظمة الإقطاعية العربية ..
قبل فترة قصيرة راح يقسم بالله أن الخير الموجود في العالم العربي ما
زال هو الخير الذي يعيش في بقايا الملكية ..

قد أقسم بهذا القسم أمام زملائه في مكان عمله في الشركة الصناعية
لتوريد الأغذية الاستهلاكية ..

أقسم بالله أن ما لدينا من خير وديموقراطية ونحن على العتبة الأخيرة
من القرن العشرين هو الخير الموجود في المغرب والسعودية والأردن وعمان
والإمارات .. صدقتم أم لم تصدقوا ..

وفعلا كلهم هزوا رؤوسهم موافقين ..
وأضاف عليكم أن تقارنوا بين حال بعض الدول في عهود ما قبل
الجمهوريات ، وحالها بعد الجمهوريات الوطنية .. يا لكارثة التحول!! » .

مجموعة من العسكريتاريين الانتهازيين الديماغوجيين جروا البلاد من
هزائم إلى هزائم متواصلة .. والقاعدة أنها ما دامت قد دخلت الأحذية
العسكرية إلى شوارع المدنيين فاقراً على البلد كله الفاتحة ..

يحكمون باسم انتخابات حرة وما زالوا هم هم لم يتغيروا .. إقطاعيون
جدد إلى مدى الحياة ، ونسب نجاحا تهم ٩٩,٩ .

هكذا تتحول البلاد يوماً بعد يوم إلى يباب .. فيباب .. فيباب ..
تجدون هذا في .. وفي .. وفي .. ولا الضالين .. آمين .. وهلم جرا .
وعليكم أن تقارنوا على سبيل المثال بين حال تلك الدولة المحترمة

النظيفة في عهد آخر ملك .. حيث كانت وكانت وكانت .. ألا يكفي أنها كانت مشرقة .. وبين حالها الآن حيث انهيارات وخردة وفن ومخدرات وإيدز ومزايدة ويقولون ثورة وديموقراطية .. طز طزين ثلاثة !!
أدخل إلى الغرفة المؤثثة على أفضل ما يكون ، وفي أحسن المستشفيات ، وبالعلاج مجاني ، وما أن جلس على السرير يتأمل تلك النظافة المبهرة في عهد الملكية في غرفة العلاج حيث امتدت ذاكرته إلى ما قبل ثلاثة وعشرين عاما حيث كانت حياته مليئة بالزنائين القذرة من أجل أفكار ندم عليها ، الأفكار التي ما أن يتذكرها حتى يشعر أن سبع سنوات من عمره كانت سنين عجافا ضاعت هباء منثورا ..

ابتسم بسخرية لحكايات القمل والنمل والجرب ..
خرج مع الممرضة إلى جناح التصوير الإشعاعي ، مكث تحت الجهاز الحديث حوالي أربعين دقيقة تصورت فيها ذرات جسده كله ، لتحديد جرعة اليود التي ستعطى له لتنظيف أية خلايا باقية بعد العملية الأخيرة التي استؤصلت فيها الغدة الدرقية لكونها السبب المباشر للأورام .. وما أن عاد إلى غرفته المعزولة حتى جاءته فرقة الإشعاع النووي ، فشربوه خمس حبات وزنها مئة وخمسون غراما ..

قالت له الممرضة حتى تتخلص من الإشعاع بطريقة صحيحة اقرأ النشرة هذه جيدا ، والمهم أن تكثر من شرب السوائل لأن البول أفضل طريقة للتخلص من الإشعاع ، وعليك أن تستحم ثلاث مرات يوميا ، تلبس في كل مرة ثيابا جديدة من المستشفى موفرة لك في الغرفة .. وستعطى لك كل ست ساعات حبة لمنع الغثيان والتقيؤ .

- هل أستطيع أن أكتب .

- اقرأ فقط ، لأن أي شيء تستعمله في هذه الغرفة لن يخرج معك ، لذلك لا تستعمل أشياءك الخاصة ، استعمل فقط أشياء المستشفى !!
في المرة الأولى التي دخل فيها الحمام للتبول ، شاهد غملة وحيدة صغيرة

جدا ،تحوس فوق الغطاء البلاستيكي النظيف على أرضية الحمام .
- إياك أن تخرجي يا سيدة البيت ،فأنا ضيف لثلاثة أيام ،وسأخرج بعدها ، لا أريدك أن تغادري منزلك ، فأنا لم آت إلى هنا لأقيم ، فقط ثلاثة أيام ، وقد يضاف إليها الثلث ، وأخرج بعدها ،إن شاء الله !!
خرج بهدوء إلى فضاء الغرفة ، وهو فرح لأن النملة كانت هادئة ، وأنها بكل تأكيد لا تريد الرحيل .

- يا إلهي ربما كانت هذه النملة مثلي قد دخلت إلى هذه الغرفة للعلاج باليود المشع ، وكان علي من الضروري ألا أغلق عليها باب الحمام ، عليها أن تبقى حرة لتقيم أينما تشاء في الغرفة .

فتح باب الحمام ، وبدأ يبحث عنها بعينية دون حراك ، فلم يجدها ، وحينها تأكد أن منزلها في الحمام النظيف ، وأنها صاحبة البيت ، وأنها فضلت الاستقلال ، لحين خروجه ، وقد كان هذا بعد مشيئة الله ، من حسن حظه . أين أنت يا زيد العامر لأشكرك على حكاية أمك عن النملة . كم كنت غبيا !!؟

بعد ثلاثة أيام أدخل تحت الجهاز الإشعاعي ، لمعرفة التطورات الجديدة ، ثم سمح له بمغادرة المستشفى ، بعد أن أعطوه الثيروكسين ، وموعدين للمراجعة !!

كانت الشوارع غارقة في المطر ..

في جسده أمل كبير رغم أحزانه العميقة ..
إنه الآن يفرح بالمطر كطفل عادت إليه صورة ماضيه عندما كان يسير في الأرض الحمراء وقد غرقت رجلاه بعد المطر الغزير ..

كيف لم يؤمن بقدرة الله !! كم تغيرت يا حسن إسماعيل !! ماذا لو رآك صلاح وأنت تعانق هذه الدروشة !! مثله تماما أنت الآن !! إنك تتحول إلى نفسك ، وقد اختلط بها صلاح وزيد العامر !! فكيف يمكن أن تكون متوازنا تجاه نفسك والآخرين !! المسألة تحتاج إلى أن تعيد النظر في

ماضيڪ لتشكل رؤية جديدة لحياتڪ الجديدة ..

عليڪ أن تتجدد مثل العنقاء !! .

طلب مني صديقي القديم عمر المنقوشي أن أكتب كلمة ما بصفتي
أحد شخصيات هذه الرواية القديمة الأحداث ،وقد مر عليها أكثر من عشر
سنوات فلم أجد فيما أحاول كتابته أكثر حميمية مما كتبته هنا . لذلك

أعذروني إذا كان هذا الكلام خارجا عن إطار اللغة المكتوبة فيه!!

وإن كان لي رأي ،فأنا اعتقد أن ما قلته هو محاولة لتأكيد التحول
الكبير الذي حدث في شخصيتي ما بين ماضي الوهم ،وحاضر الواقع !! .

(١٧)

بحايفة الحكيم

ناحت عليك من علياء متربة
عجوز أكل الدهر عليها وشرب
نظرت نحو السماء تناجي ..
ومن حولها تقرع طبول الغضب
وتسير أنت نحو الموت
نحو الغيث
في أرض يباب
من ينش التربة الحمراء وسط الخميلة ؟
لن يكون القيس بن القيس بن القيس بعد ..
ولن يكون لك به اللقاء بعد غد!!

وأنت تسير نحو الموت متكأ عصا
تلف فوق الكتف قربة ماء
تحمل في الحقبة خبزا وتمرًا وبصلا ..
تكتب في القصيدة مذكرة
تقص فيها عجائب الزمن الغريب
والرؤيا البعيدة والخبز ييبس والتمر ييبس وأيضا البصل ..
والماء ينزف نحو النهاية الأكيدة .. إنه الحصار

تجول في خواطرك المرايا .. تسرق السمع ..
والجوانج تهرج أغنية الغريبة ..
يعود لك الصواب : لا خمر .. ولا أمر ..
لا جوع مع القربة ..
لا جوع مع الماء إذا عضت جبينك الصحرا ..

وتكتب قصيدة أخرى ..
تسطرها بأبيات .. عن الناقة ..
ولا تنس مرتحلا بأمر من قائد الرحلة ..
هناك تتشبت بمن أمسى خبرا
وتذكر قصة الوحش الأليف ..
وبقرا يرعى في المرعى ..
وأملك الثكلى تبحث عن وليدها
تجس نبضه مع الوحش ..
وحمر الوحش أتن تبحث عن الريق المزيف
في خمائل العشب



ها هي وعول الحى ترقص .. والقطا يرقص .. وشجر لم يزرع باليد
يرقص ..

وأنت تتعثر بالحجر ..

ثم تدفن مع حزنك في الرمل !!

كتبت مذكرات أواخر ٨٥ وأوائل ٨٦ ، وأودعتها هناك ، حيث أراها
الآن قابعة في حقيبة يد دبلوماسية في بيت ما فوق خزانة بالية ، وفي
ظني أن البعض حاول أن يفتحها ليرى ما فيها ، وقد حق لهم ذلك ، لكنها
لن تفتح ، لأنها مغلقة بالأرقام والأرقام التي تفتح عليها هي ٦٥٤ .

كانت مشكلة معاملتي أنها توقفت عند المدير العام ، والمدير العام
حريص على مصلحتي ، فهو كما يقول احتفظ بجوازي لديه مدة عامين
لأنه يريد أن يحافظ على صمودي في وجه الاحتلال .. لذلك لم تنفع
الواسطات الكثيرة التي حاولت الإفراج عن الجواز كي أسافر ..

وكان الحل أخيرا بين يدي المراسل الذي أقنع المدير بطريقته أن أعطى
الجواز بكفالة ، غرامتها ألف ليرة إذا حاولت أن أمارس نشاطا مريباً ، كما
يحجز الجواز مرة أخرى ..

كان يوما شاقا لإنجاز الكفالة المشار إليها ، وقد أنجزت بتاريخ
١٩٨٥/١٢/٣١ فها هو عام ٨٥ ينتهي ببارقة أمل تخبر أن عام ٨٦ ربما
سيكون عاما فاضلا في رحلة حياتي المقبلة ..

استلمت الموافقة النهائية على السفر صباح السبت
بتاريخ ١٩٨٦/١/٤ .

حجزت على أول طائرة مغادرة صباح يوم الأحد .. وها أنا في بلد
آخر مختلف تماما عن البلد الذي قدمت منه .. مع تحياتي لكم هنا
وهناك !!

زيد العامر

(١٨)

هلمش

كسرت حقيبتك .. والآن وأنا لدي طفل منك أيها الهارب في البعيد
أعود وأقرأ هذا الدفتر ، وأتصفح بعض الأسطر فيه
أثرت في نفسي بعض كلماتك ، وأثارت الذكريات معها ، ذكريات
الزواج وسفرك والسجن والحمل ، وما بعد هذا كله لست وحدك من
تعاني من حياتي معك ، فأنا أيضا لي معاناتي ، لكن قلمك أقوى وهذا
الزمان زمن الكلام !!

كنت في دراستي أفقد العلاقات الكثيرة لأنني لا أستطيع حسن
التعبير عن نفسي ، وها أنا معك أكون الظالمة ، لأن قلمك أسرع وخيالك
أوسع .. كيف تصورني تلك المرأة القاسية ، اللامبالية من زوجها ..
تلومني على عدم بيع الذهب وليس الفضة يا فلاح ، فأنا أرى أنك لا تفهم
مشاعر المرأة وأفكارها .

تعتبرني صغيرة العقل إذ غضبت منك حين طلبت مني بيع ذهبي وأنا أقول لك :

كأي فتاة منذ بدأت أحلم حلمت بالعريس الذي يحضر لي شبكة وما يلزمني من ذهب مثلي مثل العرايس اللواتي رأيتهن .. كم تمنيت أن تمسك الذهب أنت يوم العرس لتلبسني إياه ، لكنك لم تفعل . حتى إنك لم تلق بالاً لوجودي بجانبك ليلتها .. كل همك كان أن تنتهي الحفلة وتذهب إلى مكان مغلق لتقول لي بعد عدة أيام : بيعي الذهب .. وحين أرفض كأنك تشتمني بقلمك وتتحين الفرص لتهينني .. وبعد أن عشت معك أرى أن حقوقي تسير نحو الضياع واحدا وراء الآخر ، وأنت تلقي باللوم على الظروف ..

وكما وعدت في كتابتك الأخيرة ، فإنك كنت تتحين الفرصة للهروب مني لتكون يدا قاسية علي ، فهذا أنت فعلت وأوفيت بالوعد .. وهذا هو الوعد الوحيد الذي أوفيته .. أما وعودك الأخرى لي فسراب وأحلام !! إنك لم ترد لي واحدة من مواقف معك ولم تعوضني عن لحظات حرمانني التي عشتها منذ عرفتك كخطيب وزوج وسجين ومشرد .. وأكتفي بهذا الآن لأن الطفل استيقظ !! لكنني صدقا لم أفهم معنى الحوت ينام في جوف الريموت !!

زوجتك 1988م !!

المختويات

٠١ بقايا من الهذيان (قصص قصيرة)
الإهداء ٥ / مدخل ٧ / الصراخ المشروخ ٩ / حديث النافذة ١٣ /
الجدار ١٦ / نجوم الظهر ١٩ / العبور من بين جداول النيران ٢٨ /
الطاووس ٣١ / نافذة إلى فاطمة ٣٥ / أمسية ٣٩ / الورقة البيضاء ٤٣ .

٠٢ الليلة الشاردة الواردة (قصص قصيرة جدا)
إهداء ٤٩ . نهايتان ٥٠ / خيانة مقصودة ٥١ /
تفسخ ٥٣ / الرحيل ٥٥ / شبح ٥٧ / العناء ٥٨ / رؤيا ٦٠ /
شخير ٦١ / شطب ٦٧ / نافذة ٦٤ / أحذية فارغة ٦٦ . تراجيديا ٦٧ / انعطاف
قاتلة ٦٩ / الأم ٧٠ / سقوط بريء ٧٢ / قطرة أليفة ٧٣ / تقاسيم حكاية واقعية ٧٤ /
همهمة ٧٥ / جثة حجر ٧٧ / الصغير ٧٨ . حليلة ٧٩ / اغتصاب ٨٠ . زواج ٨١ .
سرقة ٨٢ . حب ٨٣ . الليلة الشاردة الواردة ٨٤ / بقايا من الهذيان ٨٥ .
انتظارات ٨٦ / رواد ٨٨ . اختلاف ٨٩ / لص ٩٠ . نتاتيف ٩١ / ورطة ٩٢ /
المكافأة ٩٣ / ليست صدفة ٩٥ / هروب ٩٧ / جلوس ٩٨ / مدرسة
خاصة ١٠٠ / حزن ١٠١ . في الشارع ٢٠١ / عشاء ٣٠١ / فزورة ١٠٤ .
ذباب ١٠٥ / أسماء ١٠٦ / عدس ٧٠١ . مريثة لستة عصافير ١٠٨ .

٠٣ داريا أو الحوت ينام في جوف الريموت (رواية) :
إهداء ١١٣ . إشارة عملة ١١٤ / مدخل ١١٥ / داريا ١١٩ / مغازلة الرقم
سته ١٢٢ / النملة ١٢٦ / فلاحه ١٣٣ / الشقة ١٣٧ / القادمون ١٤٣ /
التعذيب ١٥٤ / الرؤيا ١٦٠ / المقيم الجديد ١٦٦ / الوصف ١٧٤ /
الخروج ١٧٥ / صلاح ١٦٥ / حسن ١٩٢ / حنظلة مرة أخرى ١٩٩ / اليهود
المشع ٢٠٧ / بداية الحكيم ٢١٢ / هامش ٢١٥ .

مصدر الكاتب :

- فرح أنطون روائيا ومسرحيا - دراسة نقدية .
- لقاء في الفوج الأخير- قصص قصيرة .
- التبغ واللعنة أو آخر ما توصل إليه عبدالله المسكين - قصص قصيرة .
- بوابة خربة بني دار- رواية .
- في طريقهم إلى الجنون - مسرحية .
- الرخ يعانق بروميثيوس ، أو دليلة تتقياً - مسرحية

المخطوطات :

- ثقافة المنهج (السرديات نموذجاً) قراءات نقدية نشرت في الصحافة العربية .
- إشكاليات الرواية الفلسطينية (مجموعة دراسات منشورة في الصحافة العربية) .
- بعض الكتابة ثرثرة : قراءات ورؤى .
- سباق الكتابة المتحدة : دراسات نقدية نشرت في الصحافة العربية .
- المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية الفلسطينية .
- (بحث يعد لنيل درجة الدكتوراه)

داريا وبقايا من المذيان



تتمدد كامرأة حبلى فوق هضبة لها رؤوس
متناثرة ..

منها ينطلق الذئب طويلاً طويلاً نحو
الصحراء والبحر المالح .. وترقبات المطر ..

لا شيء في الأفواه سوى الجذب وبعض الخصب .. وما زرعتم ، وما
أكلتم .. وكيف تغلبتم على المشكلة تلك ..

داريا نزقة .. تتوالد بالعشائر القادمة من رحم الخوف .. تحارب
الجذب .. والصخور .. والغزاة .. وتسرق لقمة عيشها من بين أضراس
الذئاب .. !!

